

فنجان • الهندية «بنكام» (ادي شير) .

الفهرى / الفنەرى - انىلىق ما سىتى

**فوطة** - قال الازهري : رأيت بالكوفة ازرا مخططة يشتريها الحمالون والخدم فيتذرون بها : الواحدة فوطة ، قال الجوالقي : فلا ادري اعربي ام لا » ( انظر العرب ) والاصل بالهنديه « Pata » .

**فوفل** . الفارسية «*pupal*» . سنسكي «*Kubara*» .  
 قال المسعودي : «الفوفل وهو الذي قد غلب على أهل مكة وغيرهم من العجائز واليمن في هذا الوقت مصفه بدلًا من الطين »، (مروج الذهب بارييس 2 / 84) (Watt, 83)

**فِيلٌ** . نـ القديمة « بـيل » . سنـ « pilu »  
 مع بعض الشـك . يـقال ان الفـهلوـية هي الاصل  
 ومنها انتـقلـتـ الكلـمة الى السـنـكـرـية .

(Hob.-Job. (Supplement) - « Elephant » ;  
 Jefferey : Foreign Vocabulary of the Quran,  
 Baroda, 1938)

**القافلى** – العود المنسوب الى قاتله – مرسى  
على الساحل الشرقي لشبه جزيرة ملايو  
بالقرب من Kelantan (كذا عند ابن بطوطة  
( 243 - 242/4 ) – والقاقةلة ( = الهال بو )  
الكبيرة لها صلة بمقاطعة Krakor ببلاد  
. Kamboja

(Vide Gerini, G.E.: Researches on Ptolemy's Geography of Eastern Asia, London, 1909, p. 444)

القامروني = العود النسوب الى قامرون  
 Assam = «Kamarupa» بشرق الهند ، وانظر  
 وصف هذا العود في سلسلة التواریخ من 130 .

**قطارة** = حديدة شبہ سکہ الحرش بدخل  
 الرجل يده فيها فتكسو ذراعه ويفضل منها  
 مقدار ذراعين وضربيتها لا تبقى (ابن بطوطة  
 «Katar» 31 / 4 سنس (Hob.-Job. - «Kuttaur»)

انما يرتفع كل هذا الارتباك والتباطط اذا ذكرنا  
ان « Tun/tundu » (Cedrela Toona) اسم  
الشجرة هندية ربما استعملت لفرض الواقية  
بين السفينتين وأغراض اخرى مماثلة ، ولها  
اسم آخر متراوّف وهو « Kac'cha ». (Watt, 290 ; Williams, 194)

عاج = أناب الفيلة ؛ عظم الفيل + Singhalese  
 لغة سرنديب ) : « ala » = الكبير (الماع  
 - ال من أصل الكلمة أي الناب الكبير او  
 سنس ibha-danta » ا قارن العبرية :  
 « Shen habbin » أي سن الفيل .  
 (Hob.-Job. (Supplement) - « Elephant » ; Raw.,  
 || ; Williams, 141)

## عدولية - ( راجع ما ذكرناه آنفا )

**غوري = صنم احمد : قال الشاعر**

« كانما جبينه غري » - (المخصص 211/11) قریب الصلة بالهندية « geru » = سنس (gairika) «

غرين / غريل = ما بقى في أسفل القارورة من الدهن ، نقل ما صبغ به ، ما بقى في أسفل الحوض والغدير من الماء والطين ، الطين الذى يحمله السيل فيبقى على وجه الارض رطبا او يابسا (اللسان) • سنس « Khal » بتلك المعانى سواء بسواء (97) والنطق بالهندية « Kharya » ائسه بالكلمة العربية .

## فالج

## فانیز

« pipali » سنسنیل

\* Khal = sediment, drugs, the deposit of oil, etc. - Williams, 274. (97)

Blatt : Dictionary of Urdu, Classical Hindi and English, Oxford University Press. (\*)

**كسر** - انظر « كنبار » .

**كركدن** - « لا احبه عربا لانه مفارق لابنيتهم »  
(المخصوص 8 / 58) • سنن  
« Khadgadanta »  
أي ذو سن كالسيف - « Sofula » .  
(E.I. -

**كرندة** (بزرك 118) • سنن « Karanda »  
وربما حذفوا الكاف فقالوا « الرند » - قال  
الازهري : والرند عند أهل البحرين شبه  
جوالق واسع الاسفل مخروط الاعلى يسف من  
خوص النخل ثم يختلط ويضرب بالشرط  
المتولدة من الليف حتى يتمتن فيقوم قائمها  
ويعرى بعرى وثيقة ينقل فيه الرطب أيام  
الخراف يحمل منه وندان على الجمل القوي ؛  
قال ورأيت هجريا يقول له « الرند » وكانه  
مقلوب ويقال له « القرنة » أيضا .

**كشلي** = الزر والماش ، يجمعون بينهما  
ويسمون المجموع منهما كشلي يأكلونه بالشريح  
(نخبة الدهر للدمشقى ص 169) • الهندية  
« Khichri »

**كنبار** - الفزل المفتول من ليف النارجيل لخرز  
المراكب (البيروني 103) .

**كر** - أيضا قيد من ليف أو خوص ، جبل السفينه .  
بلغة مليالم « Kaiyar » والتاميلية « Kayiru »  
وهي أصل « Coir » بالإنجليزية بالاتفاق ،  
وهل يستبعد ان تكون هي أصل كلمة « Cable »  
أيضا ، فان مدلولها الاصلى لم يتجاوز ذلك  
النوع الخاص من الجبل ؟  
(Watt ص 355)

**لكيشا** = الكثير (المقدسي) • سنن « laksha »

**ليمون** • سنن « Limpaka, nimbuka »  
(Watt, 325) « الشك .

**مسك** • سنن « mushka »

**مصريّة** ( ابن بطوطه ) = الناموسية • سنن  
(Williams, 752) « Masa-hari »

**قرفة** • التاميلية « Karppu » = دار صيني  
(Watt, 313 ; Raw, 14 ; Cam, Hist., 593)

**قرمز** • سنن « Kirmi » اي الدودة (قارن  
الإنجليزية « Crimson » (Raw., 14)

**قرنفل** • لغات الهند الجنوبيّة  
« Kirambu/Karampu »  
توازيها باليونانية « Caryophyllon »  
ويذهب البعض الى ان الكلمة سارت من  
اليونانية الى الهند الجنوبيّة عن طريق العربية .  
(Watt, 526)

**قساط** • سنن « Kushta »  
- انظر ما سبق -

**القلعي**  
- انظر ما سبق -

**القلقي**  
- انظر ما سبق -

**القماري** = العود المنسوب الى قمار  
Cambodia = « Khmer »

**قنـا** - انظر ما سبق -

**قند**  
- انظر ما سبق -

**قنقن** (الادريسي ، نسخة الدار ، ص 114  
اللقنن) • سنن « Kankan » نوع من  
الحلى كالسوار .

**كافـذ** • Kodzo = شجرة موطنها الأصلي  
الصين وأعلى بورما ، صنع منها الورق في  
قديم الزمان = « الكاذي » عند المسعودي :  
المروج 2 / 202 - . (Watt, 186)

**كافور** • سنن « Karpura »

**كمـتع** = الودع (سلسلة التواريخ ص 6) •  
الهندية « Kavadi »

**نارنج** • سنس «Nagaranga» - قال المسعودي : « شجر النارنج والاترج المدور جلب من ارض الهند بعد الثلاثمائة فورع بعمان ثم الى البصرة والشام حتى كثر في دور الناس بطرسوس وغيرها من الشفر الشامي وانطاكية وساحل الشام وفلسطين ومصر وما كان يعهد ولا يعرف ، فقدمت منه الروائع الخمرة الطيبة واللون الحسن الذي يوجد فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة والماء وخاصة البلد ( المروج 2 / 438 - 439 ) - هذا وقد جب النارنج الى الهند من الصين حيث موطنها الاصلي ( Watt ) ص 318 . »

**النرد** = هو السنبل الهندي ( باليونانية « Nalada » ) اصلها بالسنسكريتية ( بالفارسية القديمة « ناردا » ) - انظر ادي شير - « الرند » .

**النمط** - اصلها « Namata » بالسنسكريتية ( = ف : نمد ) وربما استعملوا هذا النوع من الصوف الفليظ لتفطية المرات ، ومن هنا نشأ معنى الطريقة والمذهب .

**الزياج** • سنس « nili » .

**هارد** • سنس « hari dra » اي الخشب الاصفر = الاردوية ( Watt ) « haldi » ( 445 ص ) وهو الكركم كانوا يأتون به من الهند ( ابن البيطار ) وفي الحديث « ينزل عيسى بن مريم في ثوبين مهرودين ( المخصوص 11 / 211 ) . »

**هرهرة** = حكاية اصوات الهند في الحرب • « Hari Hari »

**هندول** - مثل لحفة على اعنق الرجال ( بزرك 118 ) • سنس « hindola » - قارن « Andor » بالبرتغالية ( J.H. ) - ومنه :

**هنوييل** = الضخم الانوك المسترخي الضعيف

( 98 ) العود الهندي « سمي عودا حتى صار اسمًا علماً من قبل أنه أشرف أنواع العود » ( المخصوص 11 / 198 ) .

**مطيال** ( بزرك 36 ) = قارب صغير يشد إلى سفينة كبيرة • الهندية « Patela » ( Periplus , 248 )

**المندلي** = العود ( 98 ) المنسب إلى مندل ( Mandal ) وهي تعني « الاقليم » عامية المشهور « كورومندل » بجنوب الهند الا انه قد ورد في بعض المصادر ما يشعر بوجود « مندل » ( = اقليم ) آخر بالقرب من قامرون بشرق الهند . أما ما ذهب إليه Ferrand من أن النسبة إلى « Mandri » مكان يعينه على الساحل الجنوبي للهند فاحتمل بعيد جداً ( انظر حدود العالم ، تذكرة جب ، 1937 م ص 240 ) . هذا وقد سجل الشاعر ضياء الدين نسبة المندلي إلى الهند بقوله :

المندل كرييم  
ستقاله ولفرسه

لما اراد يرينا  
للهند نسبة جنسه  
غدا على النار مقى  
يجود فيها بنفسه

( حلبة الكمييت ص 153 )

وذكر أن الحسين بن برمك هو الذي حمل العود « المندل » ( كما في صبح الاعشى 2 / 124 - وفي التويري 29 / 12 « الهندي » ) معه اثر عودته من الهند وعرضه على المنصور فاستحسن وامر ان يكتب الى الهند بحمل الكثير منه فاشتهر بين الناس وعز من يوئذ واحتمل ما فيه من مرارة الرائحة وزعانتها لانها تقتل القمل وتنبع من تكونه في الشباب .

**موز** • سنس « mocha » .

**نارجييل** • سنس « narikila » .

(Hob.-Job. - « Sappan Wood »; « Brazil Wood »)

وشيء

- انتظـر ما سـبق -

**اليسارة** = « التي تكون ببلاد الهند وتفسيرها المطر فانه يدوم عليهم في الصيف ثلاثة أشهر تباعاً » (أبو زيد السيرافي في سلسلة التواریخ ص 126) - كانوا يقولون « فلان يسر بارض الهند اي شتا هنالك (ال سعودي : مروج الذهب 1 / 327 ) - اصل الكلمة بالهندية « varsha » .

**الهيل أو الهال** ، هي بالمسنكرية « هيل »  
وبالفارسية « هيل » وكان معدهن رأس هيل /  
إلى على الساحل الغربي بجنوب الهند وذكره  
الجفرا فيون العرب وابن بطوطة الرحلة 4/81.

ورس ( = البقم / الصرف ) - شاعت كلمة «الورس» وانتقلت من العربية الى اللغات الاوروبية في العصور الوسطى (الإيطالية «verzi» حتى انه يقال ان البرازيل Brazil من الورس، سميت تلك الخطبة من العالم الجديد كذلك لوجود هذا النوع من الخشب فيها .

الرِّمَوزُ

**سنس = اللغة المنشكية**

ف = اللفة الفارسية

\* = ان اصل الكلمة باللغة الفارسية او السنسكريتية او .. ما هو كذا وكذا .. الخ.

المراجع

- الآثار للقزويني = آثار البلاد واخبار العباد ، حنيف زكرياء بن محمد بن محمود القزويني .  
E. Wustenfeld, Gottingen, 1848

2 — الاخبار الطوال للدينوري ، ليدن ، 1888 م

3 — الادريسي = نزهة المشتاق للشريف الادريسي ، نسخة دار الكتب المصرية ، جفرا فيا رقم 150 .

4 — ادي شير : الالفاظ الفارسية المعرفة .

5 — بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .

6 — ابن بطوطه = الرحلة له ، طبعة باريس .

7 — بزرك = كتاب عجائب الهند ، تأليف بزرك بن شهريار الناخداه الرام هرمزي ،  
Par P.A. Van Der Lith, Leide, 1883-1886.

8 — البيان والتبيين للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون .

9 — البيروني = كتاب الهند ، طبعة زخاو .

10 — الجواليقي = العرب له ، طبعة الدار ، 1361 ه .

11 — سلسلة التواریخ ( سليمان التاجر وابو زید السیرافی ) ، باریس 1811 م

12 — سليمان ندوی : عرب وهندکی تعلیقات ، الله آباد ، 1930 م .

13 — شفاء الفلیل للخلفاجی .

14 — سواء السبيل فی المغرب والدخلیل ، تأليف توما آرنولد وقاضی ظفر الدین احمد ، مطبع رفاه  
عام 1903 م .

15 — ظفر الواله بمظفر وآل للحاج دیر ، طبعة السیر دنیس روس .

16 — أبو الفداء : تقویم البلدان ، باریس ، 1830 م .

17 — لف القماط = لف القماط على تصحيح بعض ما استعملته العامة من العرب والدخليل والاغلاط ،  
لابی الطیب الصدیق بن حسن القنجی ، بھوبال ، 1296 ه .

18 — المروج = مروج الذهب للمسعودی ، طبعة باریس .

19 — نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، تأليف الشیخ شمس الدین ابی عبد الله محمد بن ابی  
طالب الانصاری الصوفی الدمشقی ، بطرسبورغ ، 1865 م .

20 — ابن الوردي ( سراج الدين ) : خریدة العجائب وفريدة الغرائب .

21 — ياقوت : معجم البلدان .

## المراجع الانجليزية

- (1) Bibl. Geog. = Bibliotheca Geographorum Arabicorum, Ed. de Geoje, Leiden, 1870-94.
- (2) Chau Ju Kua : Chu-fan-chi, translated and annotated by F. Hirth and W.W. Rockhill, St. Petersburg, 1911.
- (3) Fahmy, Ali Muhammad : Muslim Sea-power in the Eastern Mediterranean, 1950.
- (4) Hirth : China and the Roman Orient, 1885.
- (5) Hob.-Job. = Hobson-Jobson : A Glossary of Anglo-Indian Colloquial words and Phrases and of kindred terms by Col. Henry Yule & Arthur Coke Burnell, London, 1886.
- (6) Hourani, George Fadlo : Arab Seafaring in the Indian Ocean in Ancient and Early Mediaeval Times, Princeton University Press, 1951.
- (7) Legacy of Islam, ed. Sir Thomas Arnold, Oxford University Press.
- (8) Periplus = The Periplus of the Erythraean Sea (Shoff), 1912.
- (9) Rawlinson, H.G. : Intercourse Between India and the Western world, Cambridge, 1926.
- (10) Smyth, W.C. : Dictionary Hindustani and English, London, 1820.
- (11) Vaidya, L.R. : The Standard Sanskrit - English Dictionary, Bombay, 1889.
- (12) Watt, Sir George : The Commercial Products of India, London, 1908.
- (13) Williams = Sanskrit - English Dictionary by Monier, Williams, Oxford, 1872.

## بدء العلاقات العالمية بين الهند والعرب

للبغاة والطغاء التسلل عبر الحدود والالتجاء بملك السند ، مما زاد في اهتمام العرب بجارتهم ، وفي الوقت الذي كانت المالك الشرقية للدولة الاموية قد استكملت قوتها واستعدادها لشن هجوم شامل برا وبحرا معاً بعد أن انتظمت أمورها وسلست صعابها تحت امرة حاكمها الحازم ذي البأس الشديد الحاج ابن يوسف الثقفي ، في ذلك الوقت سببت الملة التجارية بصورة مالوحة في التاريخ القديم والحديث على السواء ، التدخل السياسي والعسكري من جانب العرب ، وذلك لأن بعض القراءة استولوا بالقرب من ديبيل على مركب كان ينطلق إلى العراق عدداً من الأرامل واليتامى لبعض التجار العرب الذين وافقهم آجالهم في جزيرة سيلان ثم اعتذر داهر ملك السند بعجزه عن تنفيذ طلب الحاجاج بمعاقبة الجرميين وتسلیم الأسرى ، غلم يكن منه هو الآخر إلا أن ندب ابن أخيه الشاب محمد بن القاسم الثقفي لغزو السند نهائياً (3).

دخل محمد بن القاسم السند في سنة 89 هـ ووفق في إنجاز مهمته توفيقاً تماماً ، فإنه تمكّن في بحر خمسة أعوام من القضاء على مملكة داهر وفتحها لل المسلمين من منابع نهر جهيلم بكثimir في الشمال إلى البحر في الجنوب ، إلى حدود مملكة فنوج (كتنوج) بالقرب من ملقان وحدود كجرات في الشرق ومنذ ذلك الحين ظل أقاليم السند جزءاً من الدولة الاموية ، تماقب على حكمه عدد من الأمراء العرب ، سعى بعضهم لتوسيع نطاقه في الشرق وعلى ساحل كجرات فلم يلقو في ذلك كبير نجاح ، ولكنهم على كل حال بقوا أقوياء قادرين على اخماد الثورات مالكين لازمة الأمور في الداخل .

وهكذا أصبحت للعرب علاقات سياسية وطيدة مع الهند بعد أن كانت لهم علاقات تجارية قوية معها فيما قبل الاسلام ، وكان من المحتوم على هذه القاعدة الجديدة للعرب دخول اراضي الهند ان تصبح مبدأ

من المعروف أنه لم يكن هناك اسم واحد يطلق على الشبه قارة الهندو - الباكستانية باكملها بل كانت الأقاليم المختلفة تعرف بأسمائها كل على حدة وربما شمل اسم العاصمة جميع المناطق الواقعه تحت سلطتها او نفوذها . وكان نهر « السند » الذي يذكره العرب القدماء باسم « مهراون » - معروضاً باسمه الحالي الى أن امتد اليه نفوذ أهل غارس في العصر القديم فسموه « هندو » جرياً على عادتهم في ابدال السين في السنسكريتية بالهاء ، ولذلك امثلة كثيرة في اللغة الفارسية القديمة . ثم جاء العرب فاتروا اسم « السند » للأراضي الواقعه على ضفتي ذلك النهر ، وبدأوا يطلقون « الهند » على ما وراءها (1) .

كان العرب قد عرقوا الهند قبل الاسلام وأحبواها إلى حد انهم اتخذوا منها اسماء لنسائهم ، ولكنهم انما عرفوا عطورها واحجارها وسيوفها وبنمارها ولما كانت تجارتهم عن طريق البحر كان من الطبيعي ان يقتصر اتصالهم على الشواطئ والسواحل ، ولاسيما الساحل الغربي والجنوبي ، لا ادل على ذلك من اسماء في العربية هي في الأصل اسماء للأمكنة التي كانت تستورد منها مسمياتها، مثل المندل والهيل(2) ثم جاء الاسلام فصارت هذه المعرفة والصلة التجارية من أهم ما وجه المسلمين من عرب عمان والمناطق الساحلية المجاورة لها إلى شن الغارات البحرية بغية تأسيس دعائم حكمهم على موقع من ساحل السند وكجرات ، تهانة ( تانه ) بالقرب من بومباي وبهروج ( بروص ) وديبيل بالقرب من كراتشي ، وكان ذلك في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب الذي كان شديد الحذر من « من حمل الدود على العود » ثم تكررت محاولة من هذا القبيل في عهد عثمان أيضاً ، ولكن لم يكن لهذه الغزوات اثر يذكر ، ومضى العرب في هذه الاثناء قدماً من نصر إلى نصر حتى تم لهم فتح بلاد نارس كلها وصارت حدود دولتهم الشرقية تتاخم حدود مملكة السند الغربية مباشرة بحيث تنسى

(1) الدكتور السيد سليمان الندوی : عرب وهندي تعلقات ص 12 .

(2) على الترتيب ، العود المستورد من « كورومندل » كان العرب يطلقون عليها « المعبر » أيضاً وفوه « هال » أو « هيل » ( بالعامية : حب هان ) المستورد من ( رأس ) هيلي أو « إيلي » بجنوب الهند بالقرب من كورومندل ، كانت ميناء ومدينة عاصمة أيام زيارة ابن بطوطة لها ، راجع الرحلة 81/4 .

(3) الفتوح للبلذري 431 - 432 و 435

كبيرة ، كما ان اولئك الدخلاء اقبلوا على الآخذ  
بأسباب الحضارة العربية بجد واهتمام ، ولم يلبث  
العبيد من اهل السندي ان بدأوا يساهمون مساهمة  
فعالة في الحوادث الجارية حتى انه ذكر أن احداً منهم  
(ابن زياد بن ابي ك بشه ) اشترك في قتل الخليفة  
الوليد بن يزيد في سنة 126 هـ (6) اما مدى سرعة  
تعريبهم واندماجهم في المجتمع والثقافة العربية فيمكن  
أن نقدرها بوجود علماء أجلاء أمثال ابي معاشر  
نجيح بن عبد الرحمن السندي (7) وابن الاعرابي (8)  
ورجال الحكومة مثل السندي بن شاهك (9) وشعراء  
امثال ابي عطاء السندي وابي الصلع (10) كلهم  
موال انحدروا من أصل سندي لم يتجاوز عهدهم  
جيلين وثلاثة على فتح السندي ، وقد استغنىت بذلك عن التعرض للذين نشأوا فيما بعد .

لا شك ان الارتفاع وغيرهم من عامة اهل السندي  
لم يكونوا ليعرفوا العرب الا ببرطانتهم وجعلهم الجيم  
زاء وببعض الملح تتعلق بالمجانز والخصيان منهم (11)  
وما الى ذلك من عجائب العوائد وغرائب الاخلاق كما  
اشرت اليه آتنا وربما كان وجودهم مثار التساؤل بين  
أهل الفكر عن مدى الحضارة والعلوم وحكمة الهند  
ومبعث تطلع الذهان الى الوقوف عليها ، ولكن  
التبادل العلمي ونقل الآداب الهندية الى العربية انما  
كان يتوقف — ولا غرو في ذلك — على الجمع بين  
الخاصة واهل العلم من الطرفين العرب والهنود ،  
وهل يتأتى ذلك الا اذا استقرت الاحوال الداخلية

خط لسير العلوم والأداب الهندية الى عاصمتهم ،  
ولكن الحركة — لأسباب طبيعية عامة — انما نمت  
وازدهرت في العهد العباسي الأول . أما في العهد  
الأموي فلا يفت نظرنا الا ظواهر معينة ، هي بمثابة  
المقدمة لما نحن بصددناه في مقالنا هذا .

كان العرب قد عرّفوا من قبل الزط ( جات )  
والميد وهم قبيلتان من قبائل السندي عرفتا بالفزو  
والنهور والشراسة فجندتها الفرس ، وربما كثروا  
احتلالهما بالعرب حتى اتنا نجد عبد الله بن مسعود  
يقول عن بعض من رآهم في صحبة النبي صلى الله  
عليه وسلم « رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم »  
( سنن الترمذى ، باب الأمثال ) مما يدل على انهم  
 كانوا معروفيين لدى العرب تماما في ذلك الوقت (4).

ثم بعد ان تم فتح نارس على ايدي العرب  
انخرطت هاتان القبيلتان ولاسيما الزط في جنود  
الاسلام : استخدمتهم على رضي الله عنه لحراسة  
اموال البصرة في وقعة الجمل ، وانزلتهم معاوية في  
مدن الشام الساحلية لواجهة الروم ، وعمرهم وليد  
ابن عبد الملك في انتاكية (5) . هذا ما يتعلق بالعصر  
الذي سبق فتح العرب للسندي ، اما بعد ذلك فقد تيسر  
للعرب أن يعرفوا لا الزط المحاربة فحسب ، بل  
السنديين عامة ومن اهم ما ساعد على ذلك نقل عدد  
كثير من العبيد والأماء اسرى الحرب الى العاصمة (x)  
وبعض المدن الكبيرة الأخرى ، وهنالك بدأ العرب  
يتبعون خصائص وعادات هذا العنصر الجديد بعنابة

(4) يرجح أن الإمام أبي حنيفة كان من سلالة هؤلاء الزط ، فاته ذكر أن جده زوطى كان من كابل ( حسب الرواية المشهورة . راجع ابن خلكان وتهذيب الأسماء للتوبي ) نقل الى الكوفة بين أسرى الحرب اما ادعاء حفيده اسماعيل بن حماد ، الانتساب الى أسرة مالكة من الفرس فذلك محاولة معروفة حاولها كثير من الموالي لاثبات أصولهم في العز الذي نالوه في الاسلام .

(5) البلاذري الفتاح : 375 — 379 .

(6) انظر قول ابي النجم العجلي : علت خودا من بنات الزط الخ (الاغاني)

(7) ابن الاثير 217/5 .

(8) شذرات الذهب 1/278 سمع عنه الواقدي بالمدينة .

(9) « كان اباوه زياد عبدا سنديا » ياقوت : معجم الادباء .

(10) السندي بن شاهك مولى جعفر المنصور ، كان اميرًا على دمشق فاخرب سورها في فتنة ابي الهندا  
في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة هرون وهي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك . ترجمته في  
مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية الجزء السادس الورقة 42 ، وكان للسندي هذا ابن يسمى  
ابراهيم روى عنه الجاحظ كثيرا ( البيان والتبيين 1/ 141 ) .

(11) أبو عطاء معروف ترجمته في الاغاني وابو الصلع الهندى له ذكر في المرزباني 513 ) « ابو الصلع »  
كذا في المهرست 164 ) والحيوان 171/7 .

(12) البيان والتبيين ( تحقيق عبد السلام هارون ) 1/ 70 ، 74 ، والحيوان 1/ 118 .

وتترغ أولو الامر لتشجيع الحركات العلمية ورعاية  
الادب وذويه ؟

كانت اواخر ايام بني امية الوهن والاختسال  
والفتن اعقبها الانقلاب العباسي فلاقى ابو مسلم  
الخراساني بعض العناء في اخضاع منصور بن جمهور  
الكلبي ذلك الطاغية الذي كان قد اغتصب ولاية السند  
منذ زمن غير بعيد ، ولكنه نجح اخيرا في ضم هذه  
الولاية للسفاح على يد موسى بن كعب التميمي في  
سنة 134 هـ . وقد افtern ظهور العباسيين بمقتل  
العاصمة من دمشق الى بغداد غازداد القارب من  
السند جغرافيا ، مع ما هو معروف عن الخلفاء  
العباسيين وأعيان السلطنة في عهدهم من البيل  
الشديد الى الفرس والمعجم وحضارتهم وآدابهم .

لم تكن الأمور تنظم في العهد الجديد حتى نرى  
ونغدا من اهل السند يند على السفاح ، وذلك قبل  
موته بثلاثة ايام (12) . لا نعلم اذا كان هذا الوفد  
يضم احدا من اهل العلم ، ولكن على كل حال لم يكن  
له اثر يذكر لصادفه وصوله في وقت غير ملائم .

(12) تاريخ اليعقوبي 2/433.

× قال البحتري ( د الجواب 2/160 ) : السنت بالسند هند ذا بصر ان لم تفق حاسبه تنتصف

(13) البيروني : كتاب الهند ص 208 .

(14) عرب وهندي تعلقات ص 134 هذه الارقام معروفة عند العرب بـ « الارقام الهندية » وعند  
الافرنج بـ « الارقام العربية » [Arabic figures] لأنهم بدورهم أخذوها من العرب ، أعني  
عرب الاندلس وربما سماها عرب الاندلس « حساب الفبار » لأن الهند كانوا يرسمونها على  
التراب او الرمل بدل اللوحة او السبورة لتعليم الاولاد كما يشاهد ذلك في بعض ارایات الهند الى يومنا  
هذا . انظر قول الشاعر يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند :

وقالم مداده تراب  
في صحف سطورها حساب  
يكثـر فيها المحو والاضراب  
من غير ان يسوـد الكتاب  
حتـى بين الحق والصواب  
وليس اعـجام ولا اعـراب  
فيه ولا شـك ولا ارتـياب

(الحصرى : زهر الاداب 2/90)

(15) هاك الانماط الهندية التي بقىت كمصطلحات علم الهيئة بالعربية : « كردجه » ( الوتر المستوى )  
اصلها بالسنسكريتية « كرمجيا » ، « جيب » اصلها « جيووا » ، « اوج » اصلها « اوچ » بالجيم  
الفارسية ، « ارين » من « اجين » اسم بلدة في وسط الهند ، « ادماسه » اصلها « ادهماسا » .

وهذه الرواية مختلقة بدليل أن المؤرخين مجمعون على أن «برمك» لقب قديم كان يلقب به رؤساء «نوبهار» قبل الإسلام بكثير . وقال بعض آخرون أن «برمك» اسم مكان والسبة إليه «برمكي» . وأتى ابن الفقيه الهمداني وباتوت بتعليقين في منتهى الغرابة حينما قال الأول أن «برمكة» يعني حاكم مكة (17) وذلك لأن معبد بلخ كان قد أنشئ ليكون نظيراً لمكة ، وقال الثاني أن «بر» هنا بمعنى ابن وأن «برمكة» إنما يعني ابن مكة (18) وهذه الأقوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء .

وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق — مؤرخ «البرامكة» (باللغة الاردوية) إلى أن أصل «برمك» هو «برمنغ» — «بر» يعني «كبير» و «منغ» [mago] باليونانية و «مجوس» بالعربية (يعني عبد النار — وعلى هذا «برمك» يكون معناه «رئيس المجوس» وهذا القول يظهر أنه قرير جداً إلى الصواب ، مع أنه لم يعرف بعد مثال آخر لإبدال «العين» «بالكان» في التعریف ، إلا أنه قد يقى أن نتأكد إذا كان معبد بلخ معبداً للمجوس يعبدون فيه النار أو معبداً للبوذيين يعبدون فيه الأصنام أو «البد» على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ أن بآيدينا وصفاً ممهياً لهذا المعبد عند المسعودي والمهداني وياقوت يمكنا ، إذا أمعنا النظر فيه ، من الاهتمام إلى جواب على هذا السؤال وهكذا ما يقتله ياقوت عنه :

«قال عمر بن ازرق الكرمانى : كانت البرامكة أهل شرف على وجه الدهر بلخ قبل ملوك الطوائف ، وكان دينهم عبادة الاوثان ... ونصبوا حوله (أي حول بيت النوبهار) الأصنام وزينوه بالديباج والحرير وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ... وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه ، وتهدى له . وتلبسه أنواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الأعلام ، وكانتوا يسمون أعلى قبته «الاستن» وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع باروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلاثة وستون متصرورة لسكنها خدامه وقوامه

وعلى أثر هذه البداية الحسنة لابد ان المرأة واهل العلم في بغداد قد عرفوا واعتربوا ببراعة أهل الهند في ميادين أخرى ؛ ولاسيما الطب ، فلذلك نراهم يشieren على هارون الرشيد ابن مرضه باستقدام الطبيب الهندي الشهير «منكه» (مانك) وورد الطبيب الهندي فنج في علاج الخليفة وحظي عنده وبقي يشرف على نقل الكتب من اللغة السنكريتية (16) .

وفي هذه المرحلة أي بعد أن كان الطريق قد مهد لحركة نقل العلوم من الهند إلى بغداد يطالعنا التاريخ بظاهرة قوية ، يجدر بنا أن نقف عندها لعلنا نكتشفحقيقة طالما غمضت على كثير من المؤرخين التدماء والمحثثين . وتلك الظاهرة هي التي اشار إليها ابن التdim بقوله :

« الذي عني بأمر الهند في دولة اترب يحيى ابن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند وحضارتها علماء طبها وحكمةها » (كذا / الفهرست 345) .  
فما هو مبعث هذه النزعة إلى الهند وعلومها في نفوس البرامكة ؟

لنبحث عن أصل البرامكة حتى نصل إلى جواب لهذا السؤال .

### البرامكة من أصل بوذي لا مجوسى

المعروف عن البرامكة ان اجدادهم كانوا يتولون قبل الاسلام معيناً للمجوس يبلغ ، وكان «برمك» لقباً لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى «نوبهار» . أما أصل الكلمة «برمك» من ناحية اللغة فلم يتعرض لها القدماء ، وجاء المتأخرون من المؤرخين وأصحاب المعاجم من الغرب فقالوا بأن الكلمة مشتقة من المصدر «برمكيدن» أي المص بالفارسية وأبدوا قولهم هذا برواية مؤداها ان أول «برمك» اسلم (بعد ان خرب قتبة بن مسلم «نوبهار» في سنة 86هـ) لما وقفت امام الخلقة اضطر الى الاعتراف بأنه كان يحمل معه سما في خاتمه حتى يمسنه (بالفارسية : «برمكم») اذا وجد الموت خيراً من حياة الخزي ،

(16) ابن أبي أصيبيعة 2/33.

(17) كتاب البلدان ص 323 «فسمو سادنها الاكبر برمكا» ولئن منهم ذلك يسمى برمكا .

(18) معجم البلدان (نوبهار) «كانوا يسمون السادس الاكبر «برمكا» لتشبيههم البيت بهكة يسمون سادنه ابن مكة مكان كل من ولئن منهم السادس برمكا» .

ان الكتاب كانوا اعرف بكلمة « الاستن » اي العاًمود بالفارسية نحرفوا « استب » الى ذلك الشكل .

ثم هناك ادلة اخرى ترشدنا الى الجزم بأن معبد بلغ انما كان معبدا للبوذيين وهي :

1) ان بلغ جزء من اقليم خراسان وما وراء النهر ومن المحقق ان « على هذا المذهب الستمية اي البوذية ، كان اكثر هل ما وراء النهر قبل الاسلام » ( الفهرست 345 ) .

ب) يزيد المسعودي في وصف التوبهار فيقول : « وتدذر بعض اهل الرواية والتتقرير انه قرأ على التوبهار بلغ كتابا بالفارسية ترجمته : قال بوذا سف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية ( 19 ) كذب بوذا سف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال ان لا يلزم باب السلطان » .

اما « بوذا سف » فلأشك ان المراد منها « بوذا » لا غير ولعل اصلها « بودهاستور » كما ذهب اليه المحقق زخاؤ ( انظر مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند ) .

وقد وردت هذه الحكاية ايضا في مسالك الابصار ( 224/1 ) لابن فضل الله العمري وهناك « سوراشف » بدل « بوذا سف » مصححا

ج) قال العمري ايضا : « بناء منوشهر الهندي وكان يأتيه من الصابئة من يتقرب بالقمر » لا يستبعد ان يكون المراد من المتقررين بالقمر « الهندوس » لا غير بناء على ان البعض يرون ان اصل « هندو » هو « اندو » اي القمر ( قارن المسعودي : « التوبهار ... بناء منوشهر ... على اسم القمر » ) .

د) قد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد للبوذيين في مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلغ في القرن السابع الميلادي اي قبيل او بعيد فتح العرب لها ( دائرة المعارف الاسلامية » Barmakids .

نهل من شك في ان التوبهار لم يكن بيتا من بيوت النار يعبد فيه الجنوس بل انما كان معبدا للبوذيين يعبدون فيه الاصنام او « البد » واذا وثقنا من هذا خلص من الصعب الاهتداء الى ان اصل التوبهار هو « توبهار » وهار اسم معروف لمعبد البوذيين والخاتمة حوله ولا

وسنته ، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ، ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي نوق القبة متلقيه بترمذ وبينهما اثنا عشر فرسخا ... وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تدين بذلك الدين وتحج الى هذا البيت ، وكانت سنتهم اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الاكبر ويقبلوا بدبرمك » .

هذا الوصف ليقوت في معجم البلدان ( التوبهار ) يطابق لنظرا ما اوردته الهمданى ( البلدان ص 3 - 322 ) بحيث يصبح من المؤكد أنها استقياه من مصدر واحد وان لم يذكر هو الآخر اسم عمر بن ازرق الكرمانى كما نعلم يقوت هو الاول . كذلك يوافق هذا الوصف معنى ما جاء في مروج الذهب - 48 / 4 - للمسعودي ( ايضا آثار البلاد للقزويني 221 ) ومما يجدر باللاحظة والتتبه عليه في هذا الوصف :

اولا : لم يرد فيه ذكر النار حتى يقال ان التوبهار كان بيتا من بيوت النار .

ثانيا : بالعكس نص فيه على ان معبد بلغ لم يتجاوز ان يكون بيتا لعبادة الاوثان والاصنام التي كان من بينها « الصنم الاكبر » الذي كانت سنتهم اذا هم وافوه ، ان يسجدوا له .

ثالثا : من المعروف ان « ملوك الهند والصين وكابل شاه » ولنضف اليهم نيزك طرخان ملك تركستان الذي جاء عنه في الهمدانى ويقوت ( وستقل هذه القطعة فيما بعد ) انه غصب من قبول البراكحة الاسلام وزحف اليهم بجيشه ونقل بهم كل هؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذى ( Budhism ) .

رابعا : ان ( « الاستن » « آسبت » « است » ) ليست الا اشكالا محرفة لكلمة « استب » بالأصل « استوب » ( stupa ) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي اودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب بمئذنة في عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع موجودة في الهند منها « استوب سانجي » بالقرب من مستوطنه رامي مدينة بونال في وسط الهند . يظهر

( 19 ) في مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلغ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية ... الخ » .

هـما المستشر قان زخاو ( مقدمة الترجمة الانجليزية  
للكتاب الهند من 31 ) وبرتهالد ( Barthold ) ( دائرة  
المعارف الاسلامية ) ( Barmakids ) كما ان الاول هو  
الذى بحث عن الأصل المنسكريتى لكلمة « برمك »  
ثم تتبع نتائجهما الكاتب الهندي الدكتور السيد سليمان  
الندوى الذى يرجع اليه الفضل في بسط الدلائل كما  
قد اقتبسها هنا من كتابه « عرب وهندي تعلقات  
102 - 124 ، ثم يمضي الدكتور السيد سليمان  
الندوى خطوة اخرى فبلغت النظرى الى ان القول  
بانحدار البرامكة من أصل ايراني ينتقض ايضا بما جاء  
به ابن النقيه الهمданى ( وياقوت حرفا بحرف ) وهذا  
نصـه :

« فلم يزل يليها برمك الى ان فتحت خرسان ايام عثمان بن عفان وقد صارت المسدافة الى برمك ابى برمك ابى خالد فوجه برمك الى عثمان فى الرهان فورد المدينة ورغم فى الاسلام فأسلم وسمى عبد الله ورجع الى ولده وصارت البرمكة فى بعض ولده مكتب بعض الملوك الى برمك يعظم ما اتى من الاسلام ويذعوه الى الرجوع فى دين آبائه فكتب اليه برمك انى انما دخلت فيه اختيارا وعلما بفضلة عن غير رهبة ( ولا رغبة ) (20) ولا ارجع الى دين بادى العوار متهلك للاستار فقضى الملك وزحف الى برمك بجمع كثيف فكتب اليه برمك قد عرفت جبى للسلامة واتى ان استتجدت عليك الملوك انجدوني فانصرف والا صرت الى لقائك ، فانصرف عنه ووادعه ثم لم يزل ذلك الملك واسمها نازك ( نيزك ) طرخان يفتر برمك ويطلبه حتى بيته وقتله وعشرة بنين له فلم يبق لهم برمك سوى برمك ابى خالد فحملته امه وهربت به وكان صغيرا الى بلاد قشمير ، فنشأ برمك وتعلم النجوم والطب وأنواع الحكمة ، وبقي على شركه وأصحابهم وباء فتشاعموا بمفارقة دينهم فكتبوا الى برمك فتقدم عليهم فاجلسوه فى موضع ابيه فتولى امر التوبهار فسمى برمكا وتزوج ابنة ملك الصفانيان فولدت له الحسن وبه كان يكنى وخالدا وعمرا وام خالد ، وسليمان بن برمك من امراة غيرها من اهل بخارى وكان صاحب بخارى اهدى الى برمك جارية فولدت له كالل بن برمك وام القاسم وبنتا اخرى (كتاب البلاد 323 - 324).

يزال اقليم الهند الشمالية الذي ولد فيه بوذا يسمى « بيهار » (Bihar) الى وقتنا هذا . وليس بمستغرب ان خفي الامر على العرب فانهم كانوا اعرف بكلمة « بيهار » الفارسية فلذلك قالوا : « وتفسير النوبهار البهار الجديد لأن « نو » الجديد ، وكانت سنته اذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا او طلطا شريشا كللوه بالريحان وتوجوا بذلك باول ريحان يطلع في ذلك الوقت ، غلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه اول ما يظهر من الريحان ، وكان البهار نسمى نوبهار لذلك » ( ياقوت ) ، هذا وقد اتفق للعرب ابان فتحهم للسندي « ان عرفا معباد للبوذيين من قبيل وهار ، وهك مسا اورده اللاذري في وصف واحد منها :

وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى  
الدقل رأية حمراء اذا هبت الريح اطانت بالدينة ،  
وكانت تدور ، والبد فيما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في  
بناء لهم فيه صنم لهم او اصنام ليشهر بها وقد يكون  
الصنم في داخل المنارة ايضا ، وكل شيء اعظموه من  
طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بد ايضا » .

او لا تؤكّد المقارنة بين وصف معبود البوذيين هذا وبين وصف التوبهار بأن الواحِد لم يختلف عن الآخر ؟ كذلك نرى العرب يخبطون خطط عشوائية في تفسير «برمك» فلنهم لم يكونوا ليتصوروا أن تكون كلمة «مك (مكا) » غير «مكة» فاضطروا إلى القول إن البرامكة «وصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ولما كانت قريش ومن والاها من العرب يأتون إليها ويعظمونها فاختذوا بيت التوبهار مضاهة لبيت الله الحرام » (ياقوت) أما «بر» فقد كان في متناولهم الكلمة «بور» بمعنى الابن بالفارسية فلجلأوا إليها . ثم جاء المؤرخون واللغويون من الفرس فلم يكن منهم إلا ان اعتنوا على علمهم باللغة الفارسية فتخرصوا بأن تكون «برمك» مشتقة من «برمكيندن» ثم دعموا هذا التخرص برواية مختلفة كما مر . ولكن الحقيقة التي تترجم «وهار» واباها هي أن «برمك» أصلها باللغة السنسكريتية «برمك» ومعناها الصدر أو ذو الرئاسة العليا ، لم يلقب بهذا اللقب أحد من سادة بيوت النار أو معابد المجوس ، بل إنها اختص به رؤساء التوبهار لاسم ذكرناها آنفا .

ولعل من الواجب في هذا المقام أن أثبت أن أول من أشار إلى كون «النوبهار» معيلاً للبوبذين (وهار)

(20) كذا . زيادة في ابن الفقيه لا توجد في ياقوت .

الكتب من المنسكرينية ( الفهرست 2/45 ) ثم انظر إلى جعفر البرمكي يقدم صالح بهلة إلى الرشيد لمعالجة ابن عمه ابراهيم بن صالح (21) وينبع أبان الشاعر جائزه تدرها مائة ألف درهم على نظمه قمة كليلة ودمنة (22) أما قصب السبق في هذا الميدان فكان ليحيى بن خالد — حفيد أبي خالد الذي نشأ في بلاد تشميم وتعلم هناك « النجوم والطب وأنواع الحكمة » شأنه هو الذي جلب من الهند علماء وأطباء أمثال بهلة ومنكهة وبازيرك قبرقل وسندباد الذين أقاموا ببغداد ، وربما أسلم بعض أولادهم مثل صالح بن بهلة والذين عرفوا العرب الطب والبلاغة عند أهل الهند (23) ، ولكن أهم الأعمال التي تمت على يدي يحيى بن خالد اطلاقا هو إرساله رجلا فيبعثة علمية إلى الهند « ليأتيه بعثارات موجودة في بلادهم وأن يكتب له أدريائهم » ( الفهرست 345 ) فنان التقرير الذي وضعه هذا البعض ربما كان هو الرجع الوحيد للعرب والمسلمين في كل ما يتعلق بالموضوع طوال مدة قرنين إلى ظهور ذلك النابغة الحق أبي ريحان البيروني . وقد وقع في يد ابن النديم نسخة من هذا التقرير مكتوبة « يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وأربعين ومائتين » ومطابقة حرقا حرقا نسخة أخرى بخط يعقوب بن اسحق الكوفي ، أورد منه ابن النديم مقتطفات تتضمن وصفنا لبعض المعابد وفرق الهند ( الفهرست 345 — 349 ) ونجد بمقارنة بعض أجزاء هذه المقتطفات بما جاء في كتاب البدء والتاريخ ( 9/4 إلى 19 ) أن مؤلفه مطر بن طاهر المقدس ، ربما اقتبس من ذلك المصدر نفسه . ثم أن بيان مطر ابن طاهر المقدس كانه جزء مما جاء ( مترجم بالفارسية ) في كتاب زين الاخبار لكرديزي في هذا الباب (24) وقد نص الكرديزي على أنه أخذ عن كتاب التوارييخ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير بنى سامان ( أوائل القرن الرابع الهجري ) ويذهب البروفسور مينورسكي إلى أن الجيهاني ربما اعتمد بدوره على كتاب المسالك الكبير ( أصل المختصر الذي نشره دي غويه ) لأن خردانبه . هذا وقد عثرت أخيرا على مخطوطتين في كتاب اخبار الزمان المنسوب إلى المسعودي ( القاهرة 1938 م من 27 )

هذا وقد جاء في التويري ( نهاية الارب 29/12 ) عن محمد بن العباس المكي عن الاسباب التي حملت البرامكة على اللجوء إلى الهند ما هو أقرب إلى الصواب فإنه يقول : « لما قلت الاموال في أيديهم ( الأمويين ) شرعوا في مصادرات الرعایا وأخذوا الاموال من غير وجهها وتعرضوا إلى أموال الأوقاف والإيتام فتعرضوا ولاة خراسان لبرمكولولده وطالبوها بالأموال وكان تحت يد برمه أوقاف جليلة مهرب هو وولده من أعمال خراسان إلى بلاد الهند فاتماها بما إلى أن ظهرت الدولة العباسية ... ثم قدم خالد بن برمه وأخوه الحسين واهلهما على المتصور ، أبس جعفر لما افضت الخلافة إليه فاصطعنهم وادناهم وتربيهم الخ ( نفس الرواية في صبح الاعشى 2/126 )

ولا يجرئ بنا أن نتساءل : لماذا هربت أم أبي خالد إلى بلاد قشمير ؟ لأن أصل البرامكة كان من الهند لا من ايران ولا يخفى أن قشمير كانت مركزا من مراكز البوذية مثل خراسان وتركستان وهناك نشأ برمه أبو خالد على دين آبائه . لاشك أن الفرس أدعوا انتفاء البرامكة إلى جاماسب وزير كستانسب ليثبتوا أنها أسرة ايرانية عريقة في الوزارة ، كما أن العرب حاولوا ضم عظمة البرامكة إلى أنفسهم بدعوى أن أم خالد جعلته من عبد الله أخي قتببة لكنها دعاو بقيت موضع الشك إلى أيامنا هذه . أما الماء الشعراة إلى عبادة النار في معرض هجو البرامكة فمن السهل جدا عدم الأخذ به لجهل العرب عامة بالفرق بين المجووس والبوذيين ولاطلاقهم « الم Gors » على العجم كلهم . وأخيرا لا ننسى أنه كان في مصلحة البرامكة التضامن مع الفرس لأغراض سياسية ظاهرة .

اذن يتضح لنا كل الوضوح تلك الظاهرة القوية التي تستوقف كل من يتبع حركة نقل العلوم والأدلة الهندية إلى بغداد ، وهي عنابة البرامكة الثامة بهذا الموضوع ، فانتها نراهم يستخدمون جميع الوسائل الممكنة لعرض ما للهند على العرب وهم في ذلك يبدون كأنهم يعرضون شيئا من عندهم على غيرهم . انتظر اليهم يستخدمون ابن دهن فيمهدون إليه بإدارة المستشفى المعروف باسمهم والاشراف على ترجمة

(21) ابن أبي أصيحة 34/2 .

(22) الجهمياري 259

(23) البيان والتبيين 1 / 92 — منه كان صحيح الاسلام ، كذا في الحيوان 7/213 .

V. Minorsky: Gardizi on India, Bulletin of Lond on, School of Oriental Studies, 1948, XII/3 & 4.

كأنهما أصل الترجمة الواردة في كردبزي (البندان 41 و 42).

هذا هو الجو الذي ازدهرت فيه حركة نقل العلوم والأداب الهندية إلى المغرب وإنما تصدنا إلى إبراز بعض العوامل التي ساعدت في قيامها، ولاشك أنها بدأت قوية بحيث تكونت للعرب في أوائل القرن الثالث للمigration فكرة واضحة جلية عن مدى براعة

المهندس في العلوم والفنون المختلفة ، كما بسطها الجاحظ في رسالة فخر السودان على البيضان ، وكما يجعلها قوله : « إنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس والمهد والروم » (البيان والتبيين 1/137) أما استقمام نتائج هذه الحركة فهو موضوع مستقل لا سيما إذا تذكرنا أنها استمرت فيما بعد إلى أن بلغت ذروتها في شخصية البيروني الذي مر ذكره آنفا .

### البرانس (جبال) :

جبال البرانس ويقول لها العرب أيضا جبال البرنات ويقولون اذا تجاوزت معابر البرانصة فاعلم انك قد دخلت في افريقيا (الحل السندينية في الاخبار والآثار الاندلسية لشيكيب ارسلان ج 1 ص 24 ط مصر 1355 - 1936) وذكر ارسلان أنها تسمى أيضا الجبل الحاجز او الفاصل (ص 36) ويسمون جبال فشتالة بجبل الشارات .

## أبحاث عامة



# تَارِيخُهُمْ مِنْ لِفْتِهِمْ

## أَطْلَنْطِيَّة

### عَبْدُ الْكَوْنَى فَاضِلَّ

هذا جانب من وصف ذلك (الطفوان) المدمر  
الذى أغرق البشرية ، كالذى جاء فى ملحمة  
فلقىش (١)

والشطران الموضوعان بين قوسين (٠٠٠) هما  
من اضافاتي لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى  
القاريء البابلي الذى له نظمت الملحمة فلم يجد  
مؤلقها ضرورة لايضاحه . والذى يهمنا هنا ؟ في  
هذا الحديث الفريب موضوعاً والعجيب نتيجة ، هو  
(ابراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية  
(Irragal) ، وهو عند البابليين الاه مياه العالم  
السفلى التي تحسبها دعائم او اعمدة ، وكأنهم كانوا  
يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس  
مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله  
السفلى الشرير على قائم تلك الاعمدة هو تفسير زيادة  
مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المقبول  
اجيانا ، أيام الفيضان كل عام . وكثيرا ما كان انتقام  
السدود يفرق القرى والزرع كما شهدنا مراراً في  
الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة  
الأخيرة التي الجمت وأسرجت دجلة والفرات أيام

فгин لاحت للبحر  
أولى طلائع السحر  
انبعثت من أصل افق السماء  
غمامة سوداء  
في جوفها يطلع الرب « ادد »  
يسعى امام فيه « خانيش » و « شولات »  
لينذرنا بين يديه في السهل والجبال  
وأقتلع الدعامات الالاه « ابراقال »  
(فانهال ماء العالم السفلي )  
وجاء بعده « نرتا »  
(رب الوعى ، بعزم القوى )  
وتفتق السدود ...  
وزجارت  
عواصف الجنوب ، يوماً اكملنا  
احتدمت  
حتى طفى هبوبها العاتي ففطى الاجلا  
نفتكم فتكا باللغوسي  
هوجاء كالحرب الضروسى !  
ولم يعد اخ يرى اخاه ..  
... الخ

(١) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » في العدد الماضي .  
ولكتاب السطور كتاب عنوانه « هو الذى رأى » يتضمن ترجمة شعرية للملحمة تتقدمها دراسة  
عنها .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقية هذه قوية محكمة لم يعد يهمنا اقتلاع دعائم المياه السفلية التي تسبب فوران الانهار .

وببدو أن ولمي بمقارنة الالفاظ وتمحیص معانیها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية في بعض الالفاظ ، فما سمعت عیني كلمة (ايراقال) ، اعني ما وقعت عليها عیني وتحسستها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم هرقل (Herakles باللاتينية) . لكنني في العادة سرعان ما ابند الاهتمام بالتشابه اذا لم اجد صلة معنوية تربط بين اللفظين . اما الشبه بين (ايراقال) و (هرقل) فلم استطع ان ابند بهذه السهولة لأن شيئا آخر قفز معه الى ذهني هو « اعمدة هرقل Pillars of Hercules باللاتينية Hercules columnae باللاتينية ) .

واذا لحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها في اللغات الاوربية هو الاسم الاغريقي ( هراکلس Herakles ) الشبيه جدا باسم (ايراقال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتسائل جادين : هل اعمدة هرقل هي نفسها اعمدة ايراقال ، او هل هي مقتبسة منها ؟ هل هي اعمدة مائية ؟

ان اعمدة هرقل ليس لها تعريف واضح محدد، وانما يطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضا . ولا يدرى احد سبب هذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسألة اخرى . كنت قرات في كتاب عربي ان هذا المضيق كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسألة رابعة . لترك المسألة الرابعة الان، لكي نعود اليها حين يجيء دورها في تفسير غرق (اطلنطة) الذي تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطة (Atlantica او Atlantis) – قارة او جزيرة اسطورية كانت في المحيط الاطلسي ، كالذى رواه افلاطون نقاً عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة المعروف عنها ان كهنة مصربيون تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان اعظم

مأثر ائية قاطبة هو دحرها لجزيرة اطلنطة التي يجدون في مدونات لهم [قديمة] ، أنها كانت قبل تسعه آلاف عام – من ذلك العهد – دولة عظيمة تقع قبالة اعمدة هرقل ، ويربو امتدادها على مجموع ليبيا وآسيا الصغرى . وقد كانت ممرا الى جزر اخري وقاره اخرى ، وكان البحر المتوسط مجرد ميناء لها . وتعتبر امبراطورية اطلنطة من الاعمدة حتى مصر وتيرهنية (Tyrrhenia) . ويقول الكهنة المصريون « ان هذه الدولة القوية كانت قد عبّرت قواتها ضد مصر وهيلاس (Hellas) – اليونان – وجميع الاقطارات الحاددة على البحر المتوسط . وعندئذ دحرتها مدينتك بشجاعة ، فنذاعت شهرتها في الارض قاطبة . فقد قامت ، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخلى عنها الهيلانيون الاخرون ، بصد الغير فوهبت الحرية عن طواعية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة . وبعد ذلك بقليل حدث زلزال عظيم فغار كل قومك الصناديد في الارض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضحايا التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلسي » .

وتقول المعلمة البريطانية – ط 9 – عام 1875 ! – التي استقينا منها هذه المعلومات ان هذى هي المادة الاساسية لحكایة الجزيرة كما رواها قدامى ، وهي حکایة ان لم تكن خیالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ غمواً . ولعل القصة تجسد اسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، اما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتذرر البت فيه الان » .

لكننا نستبعد القول بأنها اسطورة شعبية لأن الاغريق الذين تخصصهم الحکایة احریاء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المتناول . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا أنها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتداولة . ويصدق قول المعلمة فقط اذا قلت ان تلك المدونات القديمة نفسها تعتمد على اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 – الحديثة – من المعلمة البريطانية فتشكل في صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتمذر البت الى اي مدى تعتمد هذه الاسطورة على اختراع افلاطون والى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

«المحيط الاطلسي» من جهة وانها «تمتد من اعمدة هرقل حتى مصر» من جهة اخرى . فكيف نوفق بين هاتين القالتين ؟ كذلك سبق ان امتدادها «يريو على مجموع ليبية وآسية الصغرى» .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض في شرق البحر المتوسط وهي واقعة في المحيط الاطلسي ؟

كذلك غرق الاثينيين - في البحر المتوسط طبعا - لا يتفق مع اسم اطلنطة الذي هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي او الاطلسي منه الى اسم اي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان ائنة بدرها جبوش اطلنطة » وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالقطر الايثيني وعدد آخر - يبدو انه عدد كبير - من الاقطار ؟ .

هنا يأتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبيها الارجاء حتى الان .

يقول الجغرافيون ان البحر الابيض المتوسط كان ارضا ياسبة تصب فيها الانهار من اوربة وافريقيا اللتين كانتا من ثم متصلتين وان جبل طارق كان يمتد بينهما في اقصى الغرب منها كالجسر ، او بالحرفي انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات ارضانية من الزلازل فانفتح الجبل وانقسم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذي نسميه الان مضيق جبل طارق فأغرق ارضا شاسعة هي التي تسمى الان بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتحت القاراتان اللتان كانتا رتقا .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلا بد انها كانت في منطقة هذا البحر الابيض المتوسط ، لا في المحيط الاطلسي .

وتشابه المقادن بين شعوب العالم القديم في كثير من الكلمات وبعض الجزريات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على ان عقيدة الاعمدة التي تحجز المياه ويحكمها الاه ، قد كانت شائعة ايضا منذ ذلك العهد السحيق يفسرون بها

والطبعة القديمة - الانفة الذكر - اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك في صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المأثورات الشعبية بدلا من انهم افلاطون باختلاف الرواية من اساسها . ومهما يكن فقد اثارت المسالة مجادلات طويلة . فكتابها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة في هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستنكر حتى في القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة ينالش في جد ، وفي تصديق أحيانا حتى من قبل مونتaigne (Montaigne) وBuffon (Buffon) وفولتير (Voltaire) !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها - والمبتلة منها فيما نخال - منذ اودية هوميروس التي وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفايaciens (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امريكية ، وآخرون اسكندنافية ، او الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتأى بعض الاعراقيين (1) أن اخلف اوثك الاطلنطيين المفترضين هم الباسكيون او قدامى الإيطاليين او غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المذكرين لم يستطع ان يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد ايد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بدليل معقول . فهل فى وسع اللغة ان ت ساعينا ولو بصيص من التور فى هذه المتابعة المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل وایرقال ، والى دعائم هذا وأعمدة ذاك . وقد جرنا الطوفان الذى احدثه قلع اعمدة ایرقال واغرق البشر فى العراق الى ذكرى تلك الجزيرة او القارة التى اغرقتها الزلازل في المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاھلك تلك الامبراطورية التجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تفرقنا بدورها في بحر من الغموض والمناقضات . فقد سلف انها تقع في

(1) تقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية «ethnologists» وتقترن لعلم الاعراق البشرية «ethnology» مصطلح «الاعرقيات» على غرار الارضيات لعلم «الجيولوجيا» .

وهو نفسه بدون تحرير او تحويل ، اسم الالات باللغة البابلية (Latona) . ويسميها الالاتين (لاتونة) ايضا . ومن فرط افتنانهم بالالات وتقديسهم ايها سموا من باب التبرك والتشريف على ما يظهر - ولديها من جوبيرت هذين باسمين مشتقتين من اسمها بالإضافة الى اسميهما الاصليين ، وهما الاتوبوس (Latoius) : ابولو ، و (لاتوبوس) (Latoia) او (لاتوبية) (Latoia virgo) : ديانة (2) .

فهذا الذي تقدم هو الذي يبرر لنا الى حد ما انتارجحنا كون اسم (هيراكلس) مقتبسا بكماله ، غير مجزأ . اطلقه الاغريق على الاه الدعائم المائية او لا ثم على البطل الانسان ، الاغريقي المشهور .. لا كما ذهب اليه كاتب المعلمة البريطانية من ان « شخصا حقيقيا او رئيسي .. يمكن وراء اسطورة هرقل البالغة التعقيد » .. التي زادها ذلك التأيل الخططي من اسم (هيره) تعقیدا . وتسمية الاشخاص البشر باسماء الآلهة مألوفة منذ القدم ، منها تسمية بعض الملوك الراقدانيين نتشهد منهم بالالاهين اللذين من ذكرهما في اطلاق بلاء الطوفان وهما (آداد Adad) : الاه الزوابع والرعد والامطار ، و (نيرتا Ninurta) : الاه الحرب .

اما التناقضات التي سر حديثها عن موقع اطلنطية فتحتل مشكلتها بمجرد قولنا انها كانت في البحر المتوسط ، لا في المحيط الاطلسي كما توهم الاقدمون الذين خلعتهم مشابهة اسم هذا المحيط لاسم تلك لجزيرة . والذى يهدىنا اليه التأليل ان اسماء اطلنطس (Atlantis) واطلنطية (Atlantica) والمحيط الاطلنطي (Atlantic) ترجع الى ائل واحد هو الصحيح الصريح وتعني (اطلس) ، وهو اسم عربي خالص يدل على قدم اكمال اللغة العربية وسعة امداد انتشارها في ربوع العالم القديم .

(1) الفتان البابلية والاشورية متقاربستان لأن الشعبين بطنان من قبيل واحد . وحين استولى الاشوريون على بابل اتخذوا اللغة البابلية الفصحى - اي الرسمية - لق THEM الرسمية والثقافية ، وتكونت على مر الزمن لغة قوامها مزاج من اللغتين يسمىها علماء الراقدانيات اللغة « البابلية الاشورية » . وتنترج ادماج الاسمين اختصارا في اسم واحد هو (البابلية Babissyrian) .

(2) ويحتمل بالإضافة الى ذلك ان يكون اسم « لاتو » او أحد مشتقاته ائل كل من (لاتيوم Latium) اي الموقع الذي تقوم عليه مدينة روما ، و (لاتينيوم Latinium) اي اللاتيني (اللاتيني) واللغة اللاتينية .

فيضان الانهار . واذن فهذا الجبل المقصوم هو المقصود بأعمدة هرقل ، لا الجزر القريبة منه شرقا او غربا . واذن فالالاه هرقل هو المجرم الذي قلع اعمدة مياهه فأغرق اطلنطية وبعض الناطق المحيطة بها مثلما كان ايراقال يرتكب جريمة قلع اعمدة المياه السفلية في الراقدانية كل عام فيحدث الفيضان الذي يتغونه بالسدود الكثيرة المنتظمة ، الا اذا فتق الاه الحرب (نيرتا) بعض السدود فيفرق الاراضي الفسيحة أحيانا ، وذات مرة بالإضافة الى تفتيشه السدود أغدق الاه (آداد) مياه العالم العلوى ايضا فحدث الطوفان الأكبر الذي أغرق الذى وافق العالم كله واهلك الحرج والنسل .

كان هرقل الاه عند الاغريق ، ابوه جوبيرت ، وامه (الكمينة Alcmena) . وكان اسم (هرقل) يطلق كذلك على بطل اغريقي انجز اثنتي عشر فعلاً يتعدى انجازها على البشر العادي . لكن المعلمة البريطانية - ط 1960 - تقول ان هرقل ، اشهر ابطال الاغريق ، لا يمكن ان يكون الاه في الاصل لأن اسمه الاغريقي (Herakles) ربما كان يعني « العطيبة المجيدة من هيرة Hera » ، لانه لم يكن للاغريق قط الاه يتركب اسمه من اسم الاه آخر . « فلمع رجالا حقيقيا ، او رئيسا .. يمكن وراء اسطورة هرقل البالغة التعقيد » - (1) مادة Hercules .

بعد الذي رأينا لا نستطيع ان نطمئن الى صحة هذا التأليل القائم على تجزئة الاسم لمجرد الشبه اللغوي الذي وجوده بين اسم هيره والنصف الاول من اسم هيراكلس - بالرغم من علمهم بمخالفة هذا التأليل لطريقة الاغريق في تسمية آلهتهم . بل يقلب على الظن ان الاسم منقول بتمامه من اسم (ايراقال) او من اسم آخر كان آثلا لكليهما .

وشبيه بهذه التسمية المنقولة اسم (لاتو Lato) ام ديانة وأبولو ، اللذين انجبتهما من جوبيرت ايضا .

والأطلس (Atlas) اسم اطلقه الاغريق على الايه سند الاعمدة الbasque التي تستقي الارض والسماء منفصلتين ، ثم مسخه الايه (Perseus) جيلا صخريا عقابا له على سوء استقباله . لكن الذى تخمنه ان العكس هو الصواب اي ان الاسم كان يطلق او لا على جبل اطلس ثم مسخته الاسطورة الاها .. على عادة الاساطير مع الجبال الاخرى والانهار والابار والاشجار والاحجار . وامتداد جبل اطلس حتى المحيط الاطلسي هو الذى جعل هذا المحيط يسمى اولا « البحر الاطلسي» ثم «المحيط الاطلسي » ، نسبة الى الجزء العربي الاخير ، المجاور للمحيط ، من هذه لسلة الجبلية الطويلة .

وهذا ايضا يؤيد ان اطلنطة كانت في البحر المتوسط لأن جبال اطلس موازية ومحاذية له، فمن المقول عند ذلك ان تسمى هذه الجبال باسمها . وهو من جهة يفسر قول اولئك الكهنة ان امبراطورية اطلنطة كانت تمتد من الاعمدة حتى مصر وبرهنية ، ويوحى اليانا من جهة اخرى ان ارض اطلنطة ربما كانت تتضمن هذه السلسلة من الجبال اي أنها لم تفرق كلها طبقاً لحدودها السياسية بل غرق الجزء المنخفض الامم الماهول او انزدحム بالسكان منها ومن بعض الاقطار المجاورة لها ، فقالت الاسطورة أنها غرفت كلها ، كما ان الفيsonian البابلي اغرق جزءاً كبيراً من جنوب العراق . فقالت اسطورتهم أنها اغرقت العالم كله . فعلى هذا ربما يمكن القول ان بعض اراضي المغرب العربي الكبير – من لبيبة الى المحيط – كان جزءاً من امبراطورية اطلنطة

ويذكر القاريء ان الكهنة قالوا لصولون انه بعد حدوث الزلازل العظيم « غار كل قومك الصناديد في الارض ، واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضحااض التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلنطي » .

ان النصف الاول من هذه العبارة يؤيد كذلك كون اطلنطة في البحر المتوسط لأن قوم صولون الصناديد فيه تقع بلادهم . وأما تلك الضحااض « في ذلك الجزء من المحيط الاطلنطي » فلا نعرف المكان المقصود به لكننا واثقون ان امم هذا المحيط مقسم هنا في غير موضعه بسبب مشابهة الاسم التي ضللت الرواية منذ قديم الزمان . غير انه يمكن تطبيق الضحااض على بحر ايجا الذى يكتنف ارض اليونان وعلى الارخبيل بوجه عام .

ومما يستأهل الذكر هنا أن الباحثين المحدثين قد وجدوا بقايا من طمي دلتة النيل في ذلك الارخبيل قرب اليونان ما ينبيء ان هذا النهر كان ينصب هناك ذات زمان ، أي أن ارض مصر كانت تمتد حتى الارخبيل الابيبي قبل الفرق . وذلك تأيد اي تأييد لقول الكهنة العلماء ان اطلنطة كانت قد عباث قواتها ضد مصر وهيلاس ، لأن امتداد الارض المصرية حتى اسواحل اليونانية يعني طبعاً انها كانتا متجلزتين .

وقد تسائلنا آنفاً عن معنى كلام الكهنة عن تحرر جميع الامم الواقعية « ضمن الاعمدة » ، الذى يوهّم ظاهره ان هناك اعمدة كانت تحيط بعدد غير قليل من الاقطار . فالآن تجربنا حقيقة انتقال جبل طارق عن تسلّتنا . فالمقصود هو جميع الاقطار التي تقع ضمن المنطقة التي اغرقها انتلاء الاعمدة ، او البحر الذي لا منفذ له الى المحيط الاطلنطي غير تلك الاعمدة التي انقلبت وزالت وبقي اسمها يطلق على مكانها .

واما نعت اطلنطة بالقارة تارة وبالجزيرة طوراً من قبل الكهنة انفسهم فالظاهر أنها تسمية متأخرة . سميت قارة تعبيراً عن اتساع رقعتها ، وسميت جزيرة على اعتبار أنها كانت في المحيط الاطلسي .

لكن العجب العجاب هو شأن اولئك الباحثين الذين شخصوا الارض المفرقة بأمريكا واسكتنداونية والكتاري وفلسطين ، بعد عصر النهضة . ولم تذكر الملمة حجة كل منهم . لكن هذه اراض موجودة لا مفقودة ، ويجوز ان يقال ان زلزالاً قد ابرزها من البحر لا ان يقال ان زلزالاً قد اغرقها في البحر .

واما قول القائلين ان جسراً كان يقوم على مضيق جبل طارق فهو صراح ، لأن العالم المتحضر لم يستطع حتى اليوم ان يقيم جسراً على مثل هذا المضيق البحري العريض .

لكن هذا الوهم قد سببه فيما يظهر ان بعضهم صار يسمى المضيق نفسه « اعمدة هرقل » فأول ما يخطر على بال سامع هذه التسمية هي دعائم الجسر ، فخلالها ان جسراً كان وزال . وحين يكون جسر يعبر الناس ، والدواب ايضاً .

ونعود الى قول الكهنة ان تاريخ اطلنطة يرجع الى تسعه آلاف عام قبل عهد صولون ، فهذا لا نشك فيه لأن الحضارات وتأسيس الامبراطوريات الضخمة والجيوش المعبأة المنظمة الجراراة لم تكن قد ظهرت في ذلك التاريخ البعيد . ولا نستطيع نحن تحديد تاريخ

الجبال المغاربية الموازية لها ، او الداخلة ضمن منطقتها على الارجح ، او المدينة لحدودها الجنوبية . وقد سماها الاجانب اطلنطس (Atlantic) ، ثم سموا المحيط الاطلسي (Atlantis) نسبة اليها ، ثم هم عادوا الى القارة فسموها اطلنطيقة (Atlantica) نسبة الى هذا المحيط ، الذي حسبوها غرفت فيه .

كان الاغريق يسمون الثور *tauros* او اللاتين يسمونه (taurus) وهو اسمه العربي الواضح . حتى زيادة السين في آخر الاسم سبق ان أثناها في العربية (في عدد سابق من «اللسان العربي» وفي كتابنا «مغامرات لفوية») . وكان القومان – الاغريق واللاتين – كلاهما يطلقان الاسم على جبال طروس . وربما كان الذين بدؤوا هذه التسمية قوماً أقدم كثيراً من اللاتين والاغريق ، أي قوماً كانوا يتكلمون العربية ، او كانوا يتكلمون لغة اقرب الى العربية من الاغريقية التي تدل الملابس اللغوية على انها هي الاخرى كانت في عهودها الاولى اقرب الى العربية .

فمن أجل هذا وامثاله من القرائن يسعنا القول ، انه لا يبعد ان يكون هذا شأن الذين اطلقوا اسم (اطلس) على الارض التي التهمها البحر المتوسط ، بمعنى الارض السوداء .

ولو اتسع بنا الوقت ومصادر البحث لاتينا بالكثير من التسميات الاوربية القديمة التي تناولت في العربية . ولعل لنا عودة الى تفصيل ذلك اذا تيسر لنا الفرصة ذات حين . ويكوننا الان ان نقول مثلاً ان اسم فرتبة *Corduba* (باللاتينية) الذي اطلقه (قريت طببت) اي البلدة الطيبة (2) ، كما سماها بناتها الكعنانيون (الفينيقيون) (3) .. وكما يقول الباحثون .. يذكروننا باسم (ثيباي Thebae) الذي كان الاغريق يطلقونه على مدينة (طيبة) في مصر العليا ، وعلى مدينة ثانية في (بويوتية Boiotia) اسمها قدموس الكعناني ، وعلى مدينة ثالثة في (اسالية

(1) من امثلة خلط العرب الالوان بعضها ببعض تسميتهم الاسود اخضر - على العكس مما تقدم - في مثل قولهم «اخضر شاربه» اي اسود ، واصل المعنى ثبت . كذلك قولهم «القبة الخضراء» اي الزرقاء ، و«زرقاء المنيا» اي سودها . والبغداديون يقولون ان الخوخ مثلاً «ازرق» اي اخضر ، فوج لما ينضج .

(2) جاء في الآية : «بلدة طيبة ورب غفور» مما قد يدل على ان هذا التعبير كان مالوفنا ومستحبنا عند العرب ، ومن ثم سموا به قرطبة ، وغيرها ايضاً فيما نظن .

(3) يراجع فصل لنا في المصادر المذكورة عن تسمية «فينيقية» .

ولو تقريبي ، لاننا لا نعرف متى وقع التزلزال الوخيم . وإنما هم الارضانيون الذين يسعهم ان يغيثونا في معرفة ذلك . لكن الواضح ان الرقم (9000) المبالغ فيه يتفق مع طبيعة الاساطير والتاريخ الموجلة في القدم ، التي كثيراً ما يداخلها الخلط والتزييد ، حتى لو كانت قائمة في اصلها على حقائق من الواقع .. كالذى نراه حتى في (تواريخنا) المعاصرة .

الأرجح عندها اذن ان اسم (اطلس) قد كانوا اطلقوه على اطلنطة نفسها اول مرة ، ثم انتقل الى سلسلة الجبال الموازية لها ، او التي كانت ضمن امبراطوريتها او حدودها كالذى نوهنا به قبل ، ومن ثم انتقلت التسمية الى المحيط الاطلسي .

ومعنى (اطلس) في عريتنا الباقي : الاغبر الى سواد . وأصله فيما نعتقد : الاسود ، وهذا اصله المظالم ، من قولهم طلس البصر : ذهب ، وائله طمس البصر او النجم : ذهب ضوؤهما ، اي اظلمما . ومثل ذلك دلس ودمس ... ( وقد ورد تأثيل هذه اللفاظ وتجانس معانيها في موضوع «دخلن أم انيل» في مكان آخر من هذا العدد من «اللسان العربي» ) .

ويبدو ان تلك الارض انما سميت بالاطلس كنابة عن خصيتها على غرار تسمية العراق «ارض السواد» .

والذى يرجع ذلك ويؤيد ان الاقدمين كانوا يطلقون السواد على الارض المخصب لشدة خضرتها هو ان قدامي المصريين أيضاً كانوا يطلقون نفس الاسم على بلادهم .

ومعلوم ان العرب كثيراً ما كانوا يذكرون بعض الالوان مكان بعض على المجاز او الاستعارة ، ومن ذلك اطلاق السواد على خضرة الزروع بوجه عام حتى صار قولهم «سواد البلدة» يعني ما حولها من الريف والقرى (1) .

فاسم قارتنا المقودة اذن هو (اطلس) على ما يبدو لنا من تسلسل تطور الكلمة ، ثم اطلقت على

التي سمي فيها فريق آخر منهم ذلك الربع الغربي  
(اطلس) .

ولنجد الامر غرابة وطلبنا للتأمل وانعام النظر  
فنتقول لعل اسم (تايوان) (١) - اي جزيرة فرموزة  
كما سماها البرتغاليون الفاتحون - ايضا من هذه  
الفترة فهو قريب من اسم (تيبت) ولاسيما اننا سمعنا  
من احد الصينيين ان اسمها يعني الارض او الجزيرة  
الجميلة !

فمن من قرائنا الكرام تناح له الفرصة لمعاونتنا في  
التحقق من هذه وتلك ؟

فيثيوبليس Thesalia Phthiotis ) ، وعلى بلدة رابعة  
في (ميسية Mysia) وهي التي دمرها أخيل .

وان كان بعض هذه المدن حديثا كعنانيا كذلك  
التي بناها قدموس في بيوبيوية فلمل (طيبة) مصر  
وبعض الاختりات اقدم عهدا من ذلك بأحقاب كثيرة ،  
ولعلها معاصرة لقارة اطلس .

ولولا خشيتنا الاغراق لقلنا ان بلاد (التيبت)  
(Tibet) في احضان هملاية ايضا قد تكون من هذه  
المجموعة الاعربية ولاسيما اذا كان الاسم يعني في لقفهم  
قديما او ما زال يعني الطيبة او الحسنة ، او ما الى  
ذلك . فان صح هذا كان لنا ان نستنتج ان فريقا من  
العرب سموا التيبت بالطيبة ربما في نفس المحببة

(١) ان الحروف B و W و V ... كثيرا ما يحل بعضها محل بعض في مختلف اللغات . وفي الفارسية  
ينطق الواو باء في بعض الإلفاظ مثل كتاب وكاو : بقرة . لهذا تنطق تايوان في الفارسية  
مثلا : Tayvan و Tayban .

# مُلَاحَظَاتٌ مِنْهَجِيَّةٌ حَوْلَ الْدِرَاسَاتِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ

الدكتور محمد عبد المولى (تونس)

اقتصر هذا المعهد في البداية على البحث في العلوم الجنائية كعلم الجريمة وعلم كشف الجريمة ، وعلم العقاب ليصبح بعد ذلك سنة 1960 « المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ». وانطلاقاً من هذا التاريخ أصبح المعهد يعني بالعلوم الاجتماعية بمعناها المعروف ، ومعنى بذلك علم الاجتماع ، وعلم النفس ، وعلم الأنثروبولوجيا الاجتماعية (1) .

— وتأسست ، حوالي سنة 1962 ، دائرة لعلم الاجتماع في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالجامعة اللبنانية ويمكن للطالب أن يتخرج منها بالإضافة في علم الاجتماع .

— وفي تونس تأسس فرع خاص بالعلوم الاجتماعية سنة 1964 ... كما تأسس مركز للبحوث الاجتماعية إلى جانب مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية (C.E.R.E.S.) ومن المعلوم أن هذا المركز يضم إلى جانب البحوث الاجتماعية شعباً عديدة مثل شعبية الآسنسنة والحقوق والاقتصاد والديمقراطية . ومن ميزة هذا المركز — الذي كان يتلقى اعانة مالية من مؤسسة فورد الأميركيه حتى سنة 1971 — أنه يهتم بالبحوث الميدانية وخاصة في الحقوق الاجتماعية والديمقراطية (2) .

إن مجتمعنا العربي الإسلامي ، والمجتمع العربي جزء منها ، في أشد الحاجة إلى دراسات اجتماعية لجميع مشاكلها ومؤسساتها ونظمها وقطاعات حياتها الاقتصادية والسياسية والثقافية ...

فالباحث العلمي الاجتماعي يعد في الواقع تقليداً جديداً في مجتمعنا ، وليس للعرب فيه اسهام حديث يستحق التذكر . هذا اذا استثنينا العالمة العربي عبد الرحمن بن خلدون (1332 - 1406) الذي كرسنا له ، خارج هذا المعرض بحثاً خاصاً .

للم يصل ، إلى علمنا ، إن أحد الباحثين العرب تمكن من ربط تراثنا العلمي العربي في حقل الدراسات الاجتماعية والسياسية بالحركات الفكرية والعلمية في العالم ، وخاصة ربط هذا التراث بحقول علم الاجتماع ، وعلم النفس الاجتماعي ، والأنثروبولوجيا الاجتماعية ..

ان محاولات اجراء البحوث الميدانية والعلمية في حقول علم الاجتماع (سوسيولوجيا) وعلم النفس الاجتماعي ، في المجتمع العربي ، ما تزال في بدايتها ..

— غالباً نسبة لجمهورية مصر العربية ، نمان البحث الاجتماعي ما زال في بداية المحاولة وليس له جذور راسخة ... ويعتبر انشاء المعهد القومي للبحوث الجنائية عام 1956 نقطة الانطلاق في هذا المجال :

(1) انظر : الدراسات الاجتماعية . وتطوير المجتمع للسيد ياسين . (الطبعة — العدد العاشر — اكتوبر 1971 — من 95 - 100 ) ص 95 و 96 .

(2) انظر مشاريع البحث العلمي في نشرتين خاصتين : ( 1969 و 1970 ) . (I.P.S.E.J.E.S.), 23, rue d'Espagne.

1) Programme des Travaux de Recherche - 1970 (C.E.R.E.S.), 23, rue d'Espagne.  
2) Programme des Travaux de Recherche -

2 - اقتصر الجيل الأول من الباحثين وأساتذة علم الاجتماع - وكان تكوينهم في الغالب فلسفياً على تدريس علم الاجتماع (سوسيولوجيا ) ، على غرار التقليد الفرنسي الذي تهتم شديد الاهتمام بالمقارنة بين الأفكار والمدارس السوسيولوجية ، مقارنة تفتقر إلى الدراسات الميدانية والواقعية ... وانصب جزء كبير من اهتمامهم على شرح أعمال المدرسة الدوركايية (1) ابتداءً من مؤسسها أميل دوركيم ومروراً بأعمال نوكوني (2) عن المسؤولية ولسلتين بوتلي (3) في كتاباته عن المساواة ، والديمقراطية أمام العلم وريبني هيربر (Hubert) (1885 - 1954 ) في قواعد السلطة في الديمقراطية .. ودراسات ليفي بيريل الانثروبولوجية ... الخ .

وقد اقتصر هؤلاء الأساتذة والباحثون الرواد : كما فعل زملاؤهم في أمريكا اللاتينية على النقل دون الفحص والتفسير والتوصيل . وهذا يعني أن هؤلاء جميعاً لم يهتموا بربط النظريات الاجتماعية بالظروف الاقتصادية والسياسية التي نشأت وتعمرت في ظلها ، فلا يمكن بأية حال من الأحوال أن نفهم مدرسة أميل دود كيم إلا في ضوء أوغست كونت (4) الذي هو الآخر لن يفهم في معزل عن ظروف مصر الذي عاشه : مثلاً الصراع بين البرجوازية والطبقات الكادحة على مستوى حركة المجتمع ، وبين الإيجابية الوضمية (Positivism) والاشتراكية على مستوى الصراع الأيديولوجي .

ان الدراسات داخل هذا الإطار تساعدها كثيراً على فهم أوغست كونت وبالتالي أميل دوركيم .

ويقول كاتب معاصر في هذا الصدد : « عجز هذا الجيل عن تقديم منظور سوسيولوجي للمعرفة يربط بين الفكر وبين البناء الاجتماعي برباطوثيق ، وبالتالي قدم الفكر السوسيولوجي الفرنسي معزولاً عن جذوره ، وبكل ما يتضمنه من تحيزات أيديولوجية صارخة ، لم يكن الغرض منها سوى الحفاظ على مصالح الطبقة البرجوازية الأروبية ، وأهم هذه التحيزات ضرورة الفصل بين القيم والواقع ، ومنع

- ومنذ سنوات قليلة تأسست جمعية جزائرية للدراسات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية Aardes التخطيط والاقتصاد الوطني . كما أكد لي ذلك مديرها - وأعمال هذه الجمعية لا تبعد أن تكون جمع المعلومات الحيوية وأحصاءها وفرزها .. حول ناحية معينة أو موضوع معين كالملكية الخاصة ، أو الاستهلاك العائلي ، أو أحصاءات تتعلق بالسكان .. الخ حيث ليس هنا بحث اجتماعي بالمعنى العلمي للكلمة . - وفي المغرب الأقصى أنشئ معهد العلوم الاجتماعية ثم الحق بكلية الآداب .

اما دائرة العلوم الاجتماعية في جامعة الجزائر، فحكم حداثة سنها لا اشعاع علمي لها .. ربما ذلك راجع الى قلة الباحثين وأساتذة الافتقاء .. وفي سنة 1967 تأسس قسم خاص بعلم الاجتماع في جامعة بغداد .

هذه هي ، باختصار محاولات الاعتناء بالبحوث الاجتماعية ، وهي تجربة لا تزال تلتقط طريقها إلى النمو والأصالحة والإبداع .

ولا يسعنا أمامها إلا أن نبدي الملاحظات المنهجية التالية :

1 - ان اللغة الأساسية لتدريس العلوم الاجتماعية والبحث العلمي الاجتماعي ، في كليات ومعاهد الشرق العربي هي اللغة العربية .. إلى جانب لغات أجنبية مساعدة .

اما اقطار المغرب العربي ، فإن الفرنسية هي المعتمدة كأساس للتدرس والبحث في حقول الدراسات الاجتماعية ، نستثنى من ذلك دائرة العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر التي قطعت خطوات موقعة في تعريب العلوم الاجتماعية . ومن المأمول أن نلاحظ أن جل الباحثين في علم السوسيولوجيا بتونس والمغرب الأقصى ، عندهم جهل يكاد يكون تاماً باللغة الوطنية والتراث الشعبي ، وبالتالي بلغة المجتمع ورموزه و تاريخه ...

Emile Durkheim (1858-1917)	(1)
Paul Fauconnet (1874-1938)	(2)
Célestin Bouglé	(3)
Auguste Comte (1793-1857)	(4)

الظاهر بطبعتها ورموزها ولغتها ، وحركيتها وتفكيرها الديني ، — استعملوا طرائق منهجة قد تكون مبالغة لدراسة مجتمعاتهم ، والتطور التاريخي والاجتماعي والفكري لها — فإذا ما تهافت الباحثون العرب وخاصة في المغرب العربي — الا من رحم ربك — على هذه الدراسات التي وضعها الأجانب عن المجتمع العربي وتاريخه ، فإنهم يفقدون بذلك موضوعية بحثهم ويرتكبون بذلك ، خطأ منهجيا ، خطير العواقب (1) .

لابد اذن ، والحالات هذه ، من إعادة النظر في دراسات الأوروبيين والأجانب من مستشرقين ومن دار في فلكهم من أساتذة ودكتورة ، ان عدم ثقتنا بأنفسنا وتخلصنا العلمي والتكنولوجي ، والاقتصادي قد حبب البناء كل ما هو أجنبي « إلى حد أن هناك جماعات تعتقد ، كما أكد علال الفاسي ، أن الخير كل الخير هو في تقليد أروبا الغربية ، وأمريكا السكسونية ، وروسيا السلانية ، والمانيا الجermanية » .

5 — ان التقليد الفرنسي في علم الاجتماع ، جعلت جل الدراسات الاجتماعية مبنية على مبدأ الحياد وتعلمه الموضوعية ، وهذا الموقف لا يمكن ان يفسر الا بتطور المجتمع الأوروبي نفسه . ذلك ان المجتمعات الأوروبية — والمجتمع الفرنسي جزء منها ، — قد تأثرت بمؤثرات وحفت بها ملابسات ، ما عاشتها المجتمعات العالم الثالث ، والمجتمعات العربية الإسلامية خاصة : مرت هذه المجتمعات ( الفرنسية الرأسمالية ) بعصور الاقطاع والجهل والظلم ، الى عصور الثورات التي عصفت وما تزال : فمن ثورة فكرية في القرن السابع عشر ، الى ثورة سياسية في القرن الثامن عشر ، الى ثورة اقتصادية في القرن التاسع عشر الى ثورة اجتماعية في بداية القرن العشرين .... كل هذه الثورات بمذاهبها المختلفة وملابساتها الخاصة جعلت للمجتمع الأوروبي تركيزات وانظمة خاصة بها ، وبالتالي تفكيرا اجتماعيا وسوسيولوجيا خاما . ولا يتسع المجال هنا لعرض تطور الفكر الاجتماعي في أروبا (2) : بل نشير فقط الى ان علم الاجتماع قد ولد بصفة رسمية في أروبا في القرن التاسع عشر ، ( وفي الوطن العربي في القرن الرابع عشر على يد العلامة

الباحث الاجتماعي من تقييم الظواهر الاجتماعية او الحكم عليها نزولا عن رغبة « موضوعية » العلم و « حياده » .

3 — وبعد سنوات جاء جيل من الأساتذة والباحثين العرب فأدخلوا ، لأول مرة ، في البيئة العلمية العربية مناهج وطرائق البحث الاجتماعية الميداني ، وشرعوا في تطبيقها على نطاق محدود جدا لا يتعذر الدراسات والبحوث ، للحصول على درجة الدكتوراه او في صورة اعداد بحوث جزئية لدراسة موضوعات خاصة .

ومن الملاحظ ، في هذه المرحلة بالذات ، تأثر الباحثين والأساتذة العرب ، أو جلهم على الأقل ، بالمنهج الفرنسي وبأدوات البحث المستعملة في الغرب الرأسمالي وكان من الصعب ان تتغير النطنة النظرية لدى الباحث الاجتماعي العربي حتى يكشف عن الجذور الأيديولوجية التي يزخر بها علم الاجتماع .

ولم يكن من المبين ، في هذه المرحلة الانتقالية على الباحثين العرب هضم ما درسوه في الشرق او في الغرب ، والاستقلال بوضع طرائق علمية وعلم اجتماع عربي — اسلامي له اساليبه وطرائقه لدراسة الواقع المجتمعات العربية — الاسلامية ، ببيانها وطبقاتها الاجتماعية ومشاكلها ومؤسساتها ، وفي تحليل هذا الواقع بما احتوى عليه من قيم غنية خالدة ، الى جانب ما تضمنه من فوضى وتناقض ، صنعت بعضها ، عصور الانحطاط والظلم ، وصنع بعضها الآخر التخلف الفكري والمادي طوال الاحتلال الاستعماري في العصر الحديث .

4 — ان استعمار المناهج المستوردة في دراسة المجتمعات العربية الإسلامية : دون نظر الى طبيعتها الخاصة وظروفها وتطورها التاريخي والسياسي والاقتصادي ، ورموزها وحركيتها ، هو خطأ منهجي في منتهى الخطورة . انه مصدر سوء التفاهم والخلط الذي كثيرا ما يحدث في استعمال المناهج العلمية في غير ما وضعت له . واذ عدم الباحثون الأجانب ، الى درama المجتمعات العربية الإسلامية ، رغم جهودهم

(1) انظر بحثنا عن التحليل العلمي الشامل ... اللسان العربي — المجلد السابع الجزء الاول — يناير 1970  
الرياط . ص . 342 — 349 .

(2) انظر كتابا مبسطا لبوطول وهو مغرب :

بعد ، اسس علم الاجتماع الفرنسي . لقد وصلت مقومات فكرة علم الانسان هذه الى سان سيمون ، عبر الفلسفة المثاليين والاطباء . واحد هؤلاء الاطباء هو الدكتور بيردان (Dr Burdin) الذي اوحى الى سان سيمون بأن يكتب علم الاجتماع بعلم ايجابي - وضعي ، وكأنه علم الحياة العضوية (Physiologie) اما اوغست كونت ، فابتدا اول الأمر بتسمية علم الطبيعة الاجتماعي كما فعل سان سيمون قبله ، والقصد من هذه التسمية ، هو المناداة بقيام علم جديد يكون على غرار علم الموجودات الطبيعية (Sciences naturelles) (Généralité دراسة الاحداث الاجتماعية) ويتجانس مع بقية اقسام الطبيعة . وفي سنة 1835 تمكن الفلكي البلجيكي كاتلي من نشر تأليف عنوانه : « الانسان وتطور ملائكته » او في سبيل ميزياء اجتماعية ، ثم اعاد نشره سنة 1860 تحت عنوان « فيزياء اجتماعية » (2) (Physique sociale) كانت منهجة كاتلي في كتابه الانف الذكر تعتمد على معلومات مختلفة ديمغرافية واحصائية في دراسة الجريمة مثلا . وقد انتفع له من خلال البحث واللاحظة ان القوانين التي تظاهر في المجتمع ، تخضع لنفس النظام الذي تخضع له القوانين في الطبيعة . وقد توصل عبد الرحمن ابن خلدون ، قبل كاتلي بقرن ، الى نفس الملاحظة ، اذ قال : « شأن المجتمع في ذلك (النوميس والعلل ) شأن عالم الطبيعة وناموس العلة واحد تقهما (3) .

اما اوغست كونت فكان ينتهج طرائق مغايرة ، وهي ان هناك انقطاعا بين علوم الطبيعة والعلوم الاجتماعية ، وبالاضافة الى كراهيته الشديدة للاحصاءات وحساب الاحتمالات ، رفض ان يسمى هذا العلم العلم الجديد بالفيزياء الاجتماعية واختار له اخيرا اسما آخر هو علم الاجتماع (Sociologie) ، وذلك لأسباب شخصية بينها في كتابه : « دروس في الفلسفة الايجابية » (4) .

عبد الرحمن ابن خلدون ) ، لكن لا بد من الرجوع الى القرن السادس عشر لنعرف « ان ازمة المؤسسات السياسية والدينية والتربوية قد أدت الى خلق علم اجتماعي لم ينضج بعد ، ولكنه كان نقديا على اية حال ، للنظام السائد والافكار التي تؤيده . مثلا : قام رابلي ، قبل الثورة الفرنسية (1789) ب النقد اجتماعي كما قام مونتاني (Montaigne) بتحليل عملية جعل الثقافة والعلم والتربية ، لائقية ، يعني ان التربية ، بعد ان كانت جهازا تابعا للكنيسة ، تصبح شيئا مشينا جهازا تابعا للدولة . وقد قال ما معناه : « ان العلاقة بين الكنيسة والدولة او العلاقات بين الكاثوليك والمدارس اشكال الدولة في اروبا ، وعلاقات الكاثوليك والمدارس والمؤسسات ، وكذلك علاقة العائلة بالكنيسة ... يجب ان تقلب رأسا على عقب وذلك حسب عملية انتقال لها جميع خصائص الزلازل الأرضية ( او السماوية ) . ان هذا التحليل والموقف الانجلياري لا يبعد ان يكون ، في ذلك الوقت ، محاولات انتقادية اشبه ما تكون بالأدب الساخر . نظرا لفقدان الكشوف الميدانية والاحصاءات .. (1) »

6 — ومن المتألف ، في تاريخ الفكر الاجتماعي الحديث ان علم السوسيولوجيا قد ولد في نفس الوقت الذي اخترع له اوغست كونت ( 1798 - 1857 ) هذا الاسم (Sociologie) في اغلب الاحيان ينسى ان هذه التسمية قد وضعت كرد مضاد لمؤسس آخر وهو كاتلي (Quetelet) عندما كان اوغست كونت سكرتيرا خاصا لهنري سان سيمون (H. de St Simon) ( 1760 - 1825 ) الذي استوحى « فكرة علم الانسان » من كتاب دائرة المعارف ، ولا شك ، ان لهم أهمية مئوية في عصر سان سيمون : كانوا اول من عمل على جمع العلوم في مؤلف واحد ، بعد ما اكدوا وحدة المعارف الاجتماعية ، ثم توصلوا الى وجوب فصل النظرية عن الواقع ، وهذا الفصل أصبح ، فيما

1) انظر كتاب :

Clefs pour la Sociologie, Seghers, Paris 1971 (par Georges Lapassade et René Lourau), p. 25

Sur l'homme et le développement de ses facultés, ou essai de physique sociale. (2)

408 ص : 3) انظر : المقدمة (في النصوص الفلسفية الميسرة) لكمال اليازجي .

252 ص : 4) الجزء الرابع ، الدرس 47 .

# ابن الحاجب المصري وأثره في الدراسات اللغوية

للدكتور عبد العال سالم مكرم  
أستاذ النحو العربي بجامعة الكويت

## الحركة التحوية في عصره :

الستهم ، ويصلح كلامهم ، وتنهم رسائلهم ، ويكونوا قريبين من هذا الشعب العربي الذي يخضع لحكمهم .

من أجل ذلك لم يكن عجيبا أن يضرب ملوك هذه الدولة بعهم وأنفروا في إيجاد حركة تحوية قوية .

وقد بلغ بالملك العزيز أن ينتقل لطلب العلم بين الإسكندرية والقاهرة ولا يجد حرجا في أن يجلس مجلس التلميذ أمام معلمه ، وكما اخذ هذا الملك الحديث في الإسكندرية عن الحافظ السلفي ، والنفعه من أبي طاهر بن عوف الزهري اخذ التحو بمصر عن العلامة ابن بري النحوي (1) .

اما الملك الكامل فإنه اشتهر بضفة خاصة بعلم التحو ، وله فيه آراء وافتخار مما هيأ له ان يكون عالماً بهذا الفن ، مسلماً بمسائله ، خبراً بشكلاته فاهما لخلافاته والغازه .

وهذه المنزلة التي بلغها الكامل جعلت العلامة ابن بري يمنحه اجازة في هذا الفن (2) .

ومعنى هذه الاجازة ان هذا الملك وصل الى درجة الافتاء في التحو والتعميق في مسائله والقدرة على حل مشكلاته .

كان للخلفاء الفاطميين قبل بني ابيوب عنابة خاصة بالتحو العربي وفضل كبير في نشره ، ورعاية كتبه ، ورصد الجوائز للتابعين من ابنائه وحرصهم على أن تسير كتبهم وتعاليمهم ورسائلهم على نهجه حتى أنه بلغ بهم الأمر أن عينوا ابن باشاذ التحوي محررا في ديوان الرسائل والإنشاء ، وكان ابن باشاذ من كبار النحويين والقراء في هذه الدولة .

وإذا كان الشأن كذلك في الدولة الفاطمية فان دولة بني ابيوب لم تكن أقل منهم عنابة بهذا العلم ، بل ان ملوك هذه الدولة جعلوا التحو في مقدمة العلوم التي يتعلمونها لما له من فضل كبير في تقويم الألسنة ، وفهم القرآن ، ومعرفة اسرار السنة هذا فضلاً عن انهم لم يكونوا عربا ، لأنهم أكراد ، واللحن في السنتم سليقة وطبيعة ، وقد جاءوا على انتقام دوله عربية ، كانت العربية في ابنائها جبلة وطبعا ، ومع هذا لم يقتروا في تعليمها ، والالامام بقواعدها والزموا ابنائهم بتعلمها لاختلاطهم بغيرهم ممن فسدت السنتم ، وكثير اللحن في كلامهم .

لهذا فقد رأى ملوك بني ابيوب انهم احوج الى تعلم العربية من سبقهم من الفاطميين حتى تستقيم

(1) النجوم الظاهرة ج 6 ص 127

(2) النجوم ج 6 ص 228

يقول صاحب النجوم « ... وكان عنده مسائل غريبة من الفقه وال نحو يوردها فمن اجابه حظى عنده » (3) .

« ومدرسة القدس تقع على طرف صحن الصخرة من جهة القبلة الى الغرب بناها المعظم عيسى سنة 604 هـ وكان يدرس فيها الكتاب سيبويه (5) .

هذا ، وقد كانت الدراسات النحوية قبل المعلم تدرس جانب المواد الاخرى في المدارس المتعددة التي انشأتها هذه الدولة .

« ولم تخصص مدرسة لدراسة النحو الا هاتين المدرستين ، وكان معنى التخصص في هذه المدارس ان المادة الاساسية فيها هي التي انشئت المدرسة من اجلها وليس ذلك بماءع من ان تدرس الى جانبها مواد اخرى (6) .

في هذه الحياة الفكرية المتولدة ، وفي هذه البيئة العلمية الناهضة عاش ابن الحاجب ، ولمع نجمه في سماء النحو في هذه الفترة من التاريخ فأصبح علما من اعلامه .

والحقيقة ان ابن الحاجب لم يحظ بعناییة الباحثين كما يجب ، لأن اخباره وآراءه ، واتجاهاته مبعثرة في مراجع عديدة تحتاج الى عناء لجمعها ، وقيام دراسات حولها .

وقد شعرت بتوفيق كبير حينما استطعت ان اكتشف عن شخصية هذا الرجل العظيم واوسط اللاثام عن آرائه واتجاهاته ، ومن غير فخر استطيع ان اقول ان هذه الدراسة لم يسبقني احد اليها .

### من هو ابن الحاجب ؟

#### (1) نسبه :

علم من اعلام مصر في النحو واللغة ، والاصول والقراءات ، صاحب مدرسة في النحو ، قائمة على نهج جديد .

وهو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس ، الامام العالم جمال الدين أبو عمروالمعروف بابن الحاجب الكردي .

على ان هذه المنزلة التي وصل اليها الكامل في علم النحو لم تصل الى الدرجة الكبيرة التي وصل اليها اخوه الملك المعظم عيسى ملك الشام في هذا المضمار فقد كان المعظم عيسى اديباً نحوياً ، يحب الادب ، ويقدر النحو والنحوة ولعل نشأته بالشام ، وقراءاته الادب والنحو على تاج الدين الكردي كان لها اثر كبير في تكوين شخصيته النحوية الادبية هذه الشخصية التي كانت المع شخصيات ملوك هذه الدولة ، وبخاصة في الميدان العلمي .

وقد قرأ المعظم عيسى كتاب سيبويه على الناجي الكوفي والمبشر حمزة الكبير للسيرامي وكتاب سيبويه في حقيقة أمره مدرسة قائلة بذلك من فهم هذا الكتاب ، وركب هذا البحر ، ووقف على أسراره ، وغاص الى درره كان حرياً به ان يتصدر في النحو ، وأن يكون علماً من اعلامه .

ولم يقف أمر المعظم عند هذا الحد ، بل انه بنى في القراءات والقراءات والنحو متلازمان ، فقرأ كتاب الحجة لأبي علي الفارسي في القراءات على شيخه تاج الدين الكردي وقرأ ايضاً عليه كتاب الإيضاح لابي علي الفارسي حفظاً (4) .

لهذا كله يحق لنا ان نقول : ان احتضان الملك المعظم عيسى لعلم النحو والقراءات اثار هذا العلم فائدة جليلة ، لأن الناس على دين ملوكهم كما يقولون فقد أقبل المتعلمون على النحو ، وفتح لهم الملك المعظم عيسى أبواب تعليمه ، وتعلميه بل انه جعل لكل من يحفظ كتاب سيبويه جائزة كبيرة فتنافس الطلاب في حفظه وتعاونوا على فهمه مما كان له اثر كبير في ايجاد حركة نحوية ، وبخاصة في اقليم الشام حيث يعيش هذا الملك ، وتعيش معه عطایاته وجوانذه . ومن حسناته التي خلدها التاريخ انه انشأ مدرستين للتخصص في الدراسات النحوية ، واحدة في القدس والاخري بدمشق .

(3) النجوم ج 6 ص 237 .

(4) النجوم ج 6 ص 267 .

(5) خطط الشام ج 6 ص 119 لمحمد كرد علي .

(6) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 41 .

## 2 - نشاته :

قرأ على أبي الفضل الفزني ، وأبي الجود الخمي ، واخذ عن الشاطبي القراءات كما اخذ عنه النحو (12) .

ولم يقتصر ابن الحاجب على ما اخذ من علماء القاهرة فاتجه الى دمشق ليأخذ عن اساتذتها ، وبكاري علماً منها مما كان له اثر كبير في تكوين شخصية ابن الحاجب العلمية التي استطاع مصاحبتها بفضل ما اottiءه من قوة في التفكير وقدرة في الذكاء ، ونبوغ في العقل ان ينبع بما اخذ من كبار العلماء في عهده .

### 4 - حياته :

ولما سلح ابن الحاجب بما يسلح به العالم من شتى انواع العلوم والمعرفة جلس للإفادة وتردد بين القاهرة ودمشق مرات كثيرة ، واقامته بدمشق مكتنه من أن يكون « مدرساً للملكية » وشيخاً للمستقيدين عليه في علمي القراءات العربية (13) .

وقد كانت المادة التي تشغله حيزاً كبيراً من تفكيره هي مادة النحو فقد ظل في دمشق يؤدي رسالة العلم والمعرفة ، وكان الأغلب عليه دراسة النحو (14) . واقامته في دمشق لم تستمر بسبب حدث العز بن عبد السلام مع الملك الاشرف فقد كان هناك خلاف بين العز وبين الاشرف ولم يجد العز من يقف في جانبه من العلماء ويشد ازره في محنته غير ابن الحاجب ، وكان هذا الموقف من ابن الحاجب سبباً في تغير الملك الاشرف عليه ، وكراهيته له ، مما ادى به ، وبصاحبه إلى الخروج من دمشق والعودة إلى مصر (15) وكانت عودته إلى مصر سنة 628 (16) وفي مصر تتصدر بالفاضلية ، وجلس في موضع الشاطبي (17) .

ولد في اواخر سنة 570 هـ باسنا من بلاد الصعيد « وهي بلدة كبيرة خرج منها جمع كبير من أهل العلم والادب (7) .

وقد انتقل إلى القاهرة صغيراً ، لانه كما تحدثنا دائرة المعارف الإسلامية قد حفظ القرآن الكريم ، ودرس العلوم المتصلة به كالفقه وأصوله على مذهب الإمام مالك ، وكذلك النحو والادب (8) .

واشتهر بابن الحاجب ، لأن آباء كان حاجباً للأمير عز الدين موسك الصلاحي (9) ووظيفته الحاجب كانت في هذا العصر وظيفة لها مكانها الاجتماعية ، لأن الحاجب « كانت مهمته ادخال الناس على السلطان حسبما تقتضيه الضرورة بالسماح لهم بالمثلول بين يديه ، مراعياً في ذلك مقامهم ، وأهمية أعمالهم ولم تقت مهمته عند هذا الحد ، بل كان يفصل فيما يحدث بين الامراء والجنود ، وذلك بعد استشارة السلطان أو نائبه (10) .

وهناك رواية أخرى يرويها بعض المؤرخين حيث يقول : ان آباء لم يكن حاجباً ، وإنما كان يصاحب بعض الامراء فلما مات كان أبو عمرو صبياً فرباه الحاجب فعرف به ، ولكن الادفوبي في الطالع السعيد ينفي هذه الرواية ، ويؤكد ان الرواية الاولى هي المشهورة (11) .

### 3 - شيوخه :

وانتقاله إلى القاهرة ، واقامته فيها يسرت له الانصال بكبار الشيوخ والعلماء والجلوس في حلقاتهم ، والأخذ عنهم ، والتأدب عليهم .

(7) الطالع السعيد للادفوبي ص 16 مطبعة الجمالية.

(8) دائرة المعارف الإسلامية المجلد الاول ج 2 ص 126 .

(9) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(10) الظاهر بيبرس للدكتور جمال الدين سرور ص 132 .

(11) الطالع السعيد من صفحة 188 الى 195 .

(12) الطالع السعيد من صفحة 188 الى 195 .

(13) البداية والنهاية ج 13 ص 179 .

(14) روضات الجنات ص 8 – ع ص .

(15) شذرات الذهب ج 5 ص 646 .

(16) الذيل على الروضتين ونهايات 646 هـ .

(17) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 139 د . بدوى .

## 5 - تلاميذه :

وأشهر تلاميذه الذين أخذوا عنه : المنذري الديمياطي أخذ عنه الحديث أما علم العربية فقد أخذ عنه الرضي القسطنطيني (21).

## 6 - نساء العلماء عليه :

وصفه شهاب الدين أبو شامة فقال : « وكان من ذكر الآئمة قريحة وكان ثقة حجة ، متواضعاً ، عفيفاً ، كثير الحياة ، منصفاً ، محباً للعلم ، واهله ، ناشراً له محتملاً للذى صبوراً على البلوى (22).

وأنتى عليه ابن خلkan فقال : وجاء لي مسراً بسبب أداء شهادات وسالته عن مواضع في العربية فنماذج أبلغ إعجابه بسكون كثير وثبيت نام (23).

## 7 - كتب :

خلف ابن الحاجب وراءه تراثاً ضخماً من العلم، وبخاصة علم النحو وكان هذا التراث مثلاً في كتبه . وقد قالوا عن هذه الكتب التي تركها لتحفي ذكره وترفع قدره عند النحويين ، والدارسين للنحو ، « إنها كانت في غاية الحسن ورزقت قبولها تماماً بحسبها وجزالتها » (24).

وكتبه النحوية كانت مدرسة قائمة بذاتها ، عاش على مائدتها النحويون . وقد قال عنه الرواة انه : « خالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزamas مفهمة يسر الجواب عليها (25).

وقد قال الاندوسي يصف كتب ابن الحاجب : « إن الناس انتفعوا بتصانيفه لما فيها من كثرة النقل مع صغر الحجم ، وتحرير اللفظ » (26).

وكان الشاطبي امام مصر في علم القراءات العربية ، وبالفضلية كثير الطلبة وقصدوها من كل مكان من أجل أن يأخذوا العربية عن ابن الحاجب .

وظل ابن الحاجب متصدراً بالفضلية يفيد تلاميذه ويلقي عليهم من مختلف العلوم وبخاصة علم النحو والقراءات حتى انتقل للإسكندرية للإقامة فيها .

ويذكر الدكتور بدوي في كتابه « الحياة العقلية » أن ابن الحاجب انتقل إلى الإسكندرية بعد تصدره بالفضلية ، ولا يدرى سبباً لهذا الانتقال (18).

ويظهر لي أن ابن الحاجب – وإن فتح له باب الفضلية ، وجلس في موضع رجل من كبار شيوخ مصر ، وهو الشاطبي – فقد كان مورده ممن قصده بالفضلية لم يمكنه من الحياة الهدئة المستقرة التي تتطلبها حياة العلماء لتجود فرائضهم وتنوع عقولهم .

ولم يجد في القاهرة من يحس بحاله ، ويشعر ب حاجته ، فيكتبه مؤونة البحث عن الرزق . فهاجر إلى الإسكندرية عليه يجد فيها ما فقده في القاهرة .

وقد أوحى إلى بهذه الفكرة هذان البيتان اللذان يدلان على نفس قلقة وروح مضطربة ، وحياة باستهانة.

يا أهل مصر رأيت ليديك  
عن بسطهما بالنوال منقبضة  
منذ جلت نازلا بأرضك  
أكلت كتبني كائنني أرضة (19)

على أيام حال فقد ألقى ابن الحاجب عصا  
الشيار في الإسكندرية ولم تطل مدة إقامته هناك ،  
فوفاته الأجل في ضحي نهار الخميس السادس عشر من  
شوال ودفن خارج باب البحر بتربة الشيخ صالح بن  
أبي شامة سنة 646 هـ (20).

(18) نفس المصدر والمصفحة .

(19) روضات الجنات في باب العين ص 8 ع . من .

(20) شذرات الذهب ج 5 من 234 .

(21) شذرات الذهب ج 5 من 234 .

(22) البداية والنهاية ج 1 من 179 .

(23) وفيات الأعيان ج 1 من 314 ط بولاق .

(24) روضات الجنات ، باب العين من 48 .

(25) شذرات الذهب ج 5 من 234 .

(26) تاريخ سوريا ج 6 من 237 ليوسف الياس مطران بيروت ( ط بيروت ) مطبعة بيروت سنة 1902

هذا وقد تسبّق العلماء على شرح كافيتِه ، نظَرَ لها شروحٌ كثيرة باللغة العربية ، وبالفارسية والتركية .

وأهم شروحها باللغة العربية :

(1) شرح الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذِي التحوي .

قال السيوطي : « لم يؤلف عليها ، بل ولا على غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً مُنْتَداوَلَه الناس ، واعتمدوا عليه ، وله فيها ابحاث كثيرة ومذاهب ينفرد بها ، فرغ من تاليفه سنة 686 هـ (28) .

(2) وصنف السيد ركن الدين حسن بن محمد الاستراباذِي الحسيني ثلاثة شروح على الكافية : كبير وهو المسمى بالبسط ، ومتوسط وهو المسمى بالواحية ، وهو المتداول ومسفير وتوفي سنة 777 هـ .

(3) وشرحها تاج الدين أبو محمد أحمد بن عبد القادر ابن مكتوم القيسى الحنفي المتوفى سنة 749 هـ

(4) ومن الملوك الذين اهتموا بشرحها : الفاضل الملك المؤيد عماد الدين بن الأفضل على الإيوبي المعروف بصاحب حماة المتوفى سنة 732 هـ وهو شرح طيف علّقه من شرح المصنف لهذه المنظومة ومن غيرها من شروح الكافية ، وفرغ من تاليفه في شعبان سنة 722 هـ .

(5) وقد أسلّم في شرحها الإمام تاج الدين أبو محمد على بن عبد الله بن أبي الحسن الأشبيلي ثم التبريزِي ، نزيل القاهرة المتوفى في رمضان سنة 746 هـ وهو شرح كبير كشرح الرضي ، وفرغ من تسويفه لثلاث بقين من محرم سنة 742 هـ سماه : مبسوط الكلام في تصحيح ما يتعلّق بالكلم والكلام .

(6) ولشمس الدين محمود بن عبد الرحمن الاصفهاني المتوفى سنة 749 هـ شرح كبير كالرضي ، قدم فيه عشر معلقات نافعة . (29)

ومعنى هذا انه كان ممكناً من اللغة ، ملماً باسرارها يسر له كثرة النقل والرواية .

ولاحظ أن ينفع الناس بتراثهم الماضي استطاع بسلامة ذهنه وقوّة فهمه ، فجاءت كتبه وافية بالغرض الذي الفت من أجله ، وهو تيسير العلم ونشره فيوضوح وایجاز .

ولهذا السبب راجت كتبه في بلاد العجم ، واهتم الناس بها هناك لما فيها من ایجاز وترتیب وتنظيم ، وتنسیق وتبییب .

قال صاحب كتاب تاريخ سوريا : « ذكر هذين الكتابين » أي الكافية ومخترقه في أصول الفقه — جميع البلاد خصوصاً بلاد العجم واكب الناس على الاشتغال بهما إلى زماننا هذا .

وأشهر كتب ابن الحاجب النحوية كتاب الكافية.

## 1 — الكافية :

عرفها كشف الظنون بأنها : « مختصرة معتبرة ، مفنبة عن التعريف ، وهي دستور هذا الفن ، اذ بها يعرف أكثر مسائله » .

ولما كانت الكافية تشبه القوانين العامة ، او الخطوط الرئيسية منها وتحتاج إلى تيسير وايضاح — الف لها شرعاً لبيان الغرض من مسائلها والمدفوعات فيها وقد تداول الناس هذا الشرح ، واكبوا عليه وانادوا منه وشغلوا به وبالكافية .

وفي عهد ابن الحاجب كان الملك الناصر داود ابن الملك المعظم عيسى الإيوبي محبًا للنحو كأبيه فلما رحل ابن الحاجب عن دمشق إلى الكرك نظم لهذا الملك مقدمته الكافية ، وسمى هذا النظم بالواحية ، ولم يكتف بنظمها ، بل شرحها له (27) .

وهذا الصنيع من ابن الحاجب يدل على رغبته القوية في تذليل النحو وتسهيله من أجل ان تهضم قواعده ، وتشرح غواضه .

(27) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

(28) نفس المصدر والجزء والنهر ، وما بعده .

(29) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1370 وما بعده .

الا بعد عصر أبي حيان وابن هشام ، فلم يقنا على هذا الشرح (31) .

ولقد حلقت شيرة كتب ابن مالك في الاقليمين على هذه القيادة وشرحها فلم يكتب لها الحياة في مصر والشام الا في زمن متاخر حينما نقل شرح الرضي إلى الاقليمين .

#### منهجه في الكافية :

رغب ابن الحاجب في ان تيسير النحو لطلابه ، فعمد إلى كتاب المفصل للزمخنري واختصر منه هذه المقدمة الصغيرة وسمها : الكافية ، ولعل اسمها يدل على الغرض الذي من اجله الفت فهي تغني الناشيء او المتعلم عن كتب النحو المعتمدة التي تحتاج إلى ملم بهذا الفن ، خبير بمسائله .

وقد سار ابن الحاجب في ترتيبه لابواب الكافية كما فعل الزمخنري في كتاب المفصل فالناظر فيه يرى انه متكون على اربعة اقسام : الاول — في الاسماء ، والثاني — في الافعال ، والثالث — في الحروف والرابع — في المشترك من احوالها .

وقد نهج على هذا التقسيم ابن الحاجب ، فقسم الكافية إلى اربعة اقسام : اسماء ، وانفعال ، وحروف ، ومشترك من احوالها .

وأغلب الظن ان هذا الترتيب والتقسيم لم يكن من مبتكرات الزمخنري فقد سبقه في هذا أبو علي الفارسي في كتابه «الايضاح» فقد كان أول من ابتكر هذا الترتيب ، وسنه للمعاصرين له من تلاميذه وللخالقين من النهاة من بعده (32) .

على ان ابن الحاجب لم يكن بعيد الصلة عن كتاب الايضاح لابي علي ، لأن هذا الكتاب عنى به المصريون منذ ان بدأ النحو في مصر يستقر على دعائم ثابتة على يد النحو المصري ابن بري ، وابن بري من الذين عنوا بالإيضاح وشرحوه (33) .

وبعد ، فلا استطيع في هذا المقام ان أعدد جميع شراح الكافية ، واكتفي بما ذكرت ، وقد سجل حاجي خليفة في كشف الظنون شراح هذه الكافية (30) والحوالى التي وضعت على هذه الشروح ، ولا يسعني في هذا المقام الا ان ابين ان الكافية شغلت العلماء طوال العصور منذ عصر ابن الحاجب الى يومنا هذا ، ومن ثم كثرت الشروح والتعليقات عليها ، ولا زالت الكافية وشرحها مصدراً كبيراً من مصادر الدراسة النحوية في عصرنا هذا .

والحق الذي لا ينكر ان الذي اضفي على هذه المقدمة شهرة واسعة النطاق هو شرح الشیخ رضی الدين الاسترابادی ، هذا الشرح الذي انتشر ذكره وعمت دراسته ، وبخاصة في بلاد العجم حيث ترجم الى الفارسية .

وكان انتفاع العجم بالمقدمة وشرحها اكثر من انتفاع مصر والشام بها وذلك لانه وان اسهم بعض علماء هذين الاقليمين بشرح هذه المقدمة والتعليق عليها فان هذه الشروح لم تنتشر بين الطلاب ويشتهر امرها كما كان ذلك في بلاد العجم .

ولعل لهذا سرا ، فان ابن الحاجب كان يميل الى الفلسفة والمنطق والقياس والتحليل ، وقد سادت فيه هذه الروح منذ ان نبغ في علم الاصناف وعلم الاصول تقوم قضيائاه على النهج المنطقي .

وكان اهل مصر ينفرون من الفلسفة ، ويفررون من المنطق ، ويحبون الوضوح في كل شيء ، في حين ان اهل العجم كانوا يميلون الى الفلسفة ويتجهون في دراستهم الى المنطق ، فكان ذلك ادعى الى ان تزوج كتب ابن الحاجب وبخاصة الكافية في بلاد الفرس ، على حين انها تتفق في دائرة ضيقة محدودة في الاقليمين المصري والشامي .

— وكما قدمت سابقا — ان هذه المقدمة تفتح فيها من روح الحياة ووضع فيها سر الخلود هو الرضي بشرحه ، ولم ينفع اهل مصر والشام بهذا الشرح لانه نقل الى مصر في زمن متاخر ولم ينفع الى مصر

(30) كشف الظنون مجلد 2 شهر 1370 وما بعده .

(31) هامش كشف الظنون شهر 1370 مجلد 2 .

(32) ابو علي الفارسي للدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي — من 521 — مطبعة مصر الجديدة .

(33) سيبويه امام النهاة — للأستاذ على التجدي من 187 .

وعلق الرضي بقوله « ولننظر المركب بطلق على شيئاً على أحد الجزاءين أو الأجزاء بالنظر إلى الجزء الآخر أو الأجزاء الأخرى ، كما يقال في ضرب زيد مثلاً أن زيداً مرتكب إلى ضرب ، وضرب مرتكب إلى زيد فهما مرتكبان .

ويطلق على المجموع تبيّن ضرب زيد مرتكب من ضرب ، ومن زيد ، وهذا كما يقول مثلاً لأحد الخفين هو زوج الآخر ، ويبيّن لهما معاً : زوج .

ومراد المصنف المعنى الأول ، وليس بمرض ، لأن المركب في اصطلاحهم في المجموع أشهر منه في كل واحد من جزئيه ، أو اجزائه ، فيويم أن المعرب من الأسماء لا يكون إلا مرتكباً في شيئاً فصاعداً كخمسة عشر ونحوه (35) .

ثم قال الرضي : وهذا دأب المصنف يورد في حدود هذه المقدمة الفاظاً غير مشهورة في المعنى المقصود اعتماداً منه على عنايته وينبغي ان يختار في الحدود والرسوم اوضح الالفاظ في المعنى المراد ويختار عن الالفاظ المشتركة فكيف بالاستعمال لفظ هو في غير المعنى المقصود اظهر (36) .

## 2 - الشافية :

وكما ألف ابن الحاجب كائنته في النحو الف الشافية في الصرف وكذا في شرح ما ألف ، وتوضيح ما أنتج شرح الشافية .

وأشهر من شرحاها من نحاة مصر في القرن الثامن الهجري ابن هشام الذي ألف لها شرحاً في مجلدين سماه : عمدة الطالب في تحقيق تصريف ابن الحاجب وتوفي ابن هشام سنة 672 هـ .

وكما انتشرت الكافية في مصر والشام في العصور المتأخرة انتشرت أيضاً الشافية وظلت محور الدراسة والبحث حتى عصرنا هذا فقد قرر تدريسيها في بعض المعاهد العلمية المهمة بالتوابع اللغوية والنحوية .

وظل هذا الكتاب المحور الذي يدور حوله النحوة منذ القرن الرابع الهجري حتى عصر ابن الحاجب الذي اسمه ينتمي كبير في شرحه لهذا الكتاب .

فابن الحاجب أذن لم يكن تأثيره بالإيضاح أقل من تأثيره بالفصل ، فقد شرح الكتابين وكان لهما عليه تأثير كبير في نحوه ، بل وفي آرائه مما سألينه بعد .

على أيّة حال ، فقد كانت الكافية تسير مقتنية خطى المفصل والإيضاح في الترتيب والتنظيم وفي التبويب والتقسيم ، وإن كان كل من المفصل والإيضاح كتاباً كاملاً جمع النحو ، وحوى قواعده ، فإن الكافية تلخيص موجز غایة الإيجاز لهذين الكتابين مما أدى إلى صعوبة فهمها ، وأدرك مسائلها الامر الذي حدا الكثير من النحويين للتصدي لشرحها ، والتعرض للتعليق عليها ، حتى بلغت تعليقاتها وشرحها ما يربو على المائتين شرعاً (34) .

## اسلوب الكافية :

ابن الحاجب في الكافية عمد إلى التلخيص والإيجاز لدرجة أن الدارس لها يجد صعوبة في فهمها ، وحل تراكيبيها ، والوقوف على الفرض من عباراتها فهو وإن حاول بهذا العمل أن يلخص النحو ، وبقيمه قواعد سهلة للمبتدئين إلا أنه خانه الحظ في الوصول إلى هذا الغرض ، فجاء تلخيصه يحمل الفاظاً غير واضحة ولعل ابن الحاجب أحسن أنه لم يوفق في هذا التلخيص كل التوفيق ماتجه إلى شرحه لينير الطريق لساكه ، ويعبد السبيل لدارسه .

ولا أدل على ذلك من أن الرضي شارح الكافية كان يعاني من أسلوبها وتراكيبيها الشيء الكثير مما أدى به إلى مهاجمة المصنف ولومه على هذه الصعوبة التي كانت شعار أسلوبه في مقدمته فيقول :

« قال ابن الحاجب في مقدمته في اعراب الاسم \* وهو معرب ومبني فالعرب المركب الذي لم يشبه مبني الأصل » .

(34) كشف الظنون ج 1 ص 212 .

(35) شرح الرضي على الكافية ج 1 ص 14 .

(36) كشف الظنون مجلد 2 نهر 1020 .

### 3 - الامالي :

امايلى ابن الحاجب تضمنت آراءه في بعض المشكلات النحوية وتوجيهات لبعض الآيات القرآنية وتعليقات على كتاب المفصل للزمخشري وآراء في بعض الأبيات لكتاب الشعراء وتخريجها .

وقد أملى هذه الامالي على تلاميذه في حلقات متعددة وأزمنة مختلفة وأمكنته متابينة .

وفي النسخة المحفوظة بدار الكتب (رقم 1007 نحو) نقرأ في الصفحة الاولى من الامالي ما يأتي :

« هذه الاجزاء مشتقة على امايلى متفرقة في النحو جليلة ، من كلام الشيخ الامام العلامة حجة العرب وفخرهم منشء العلوم والمراجع اليه في تحريرها وتحريرها جمال الدين عمرو بن الحاجب برد الله مضمجمه وطيب مجده ، منها ما يتعلق بكتاب المفصل للزمخشري . ومنها ما يتعلق بأبيات عربية ومحدثة وغير ذلك . وهذه الامالي عزيزة الوجود ومضنون بها على غير اهلها ، بل على اهلها لغاية شرفها وعظيم نفعها (37) . »

وكطبيعة كتب الامالي لم تكن في امايلى ابن الحاجب وحده ، او تنظيم وترتيب ولكنها خواطر وآراء امليت في ازمنة متعددة في القاهرة ودمشق .

وقد بدأ بها سنة 609 هـ في القاهرة ، لانه قد جاء في امايليه ، وانه قال ايضا ملريا في القاهرة سنة تسعمائة وستين على قوله تعالى « ونزعنا ما في سورهم من غل اخوانا » (38) .

وقد تبعت سنوات الاملاع في القاهرة ، فلم اجد له املاء قبل هذا التاريخ وظل يملي آراءه في القاهرة حتى سنة 616 هـ بدليل ما جاء في امايليه « انه املى في القاهرة سنة ست عشرة على قوله تعالى : « ان تضل اصحابنا فتذكري اصحابها الاخرى » (39) . »

وفي سنة 617 هـ نجده ينتقل الى دمشق ويتملي بها ، ويظل يملي حتى سنة 625 هـ (40) . وهي السنة

(37) الامالي — ابن الحاجب ، مخطوط رقم 1007 نحو ( دار الكتب )

(38) العجر — 47 .

(39) البقرة — 282 .

(40) الامالي — ابن الحاجب مخطوط رقم 1034 نحو .

(41) كشف الظنون — ج 1 نهر 212 .

(42) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية ص 107 .

## 8 - آراؤه واتجاهاته :

### (1) أثر الفلسفة والمنطق في اتجاهاته النحوية:

صلة النحو بالفلسفة قديمة ، بدأت حينما ظهر المنطق اليوناني في مدينة البصرة التي كانت حينئذ مركزاً كبيراً لفلسفة المعتزلة الذين تأثروا بالمنطق الارسطي في اتجاهاتهم الكلامية .

ومن غير شك أن نحاة البصرة وعلى رأسهم سيبويه لم يكونوا في معزل عن هذا التيار الجارف ، تيار الفلسفة والمنطق فتأثروا به .

وقد كان النزاع الذي ظهر منذ القرن الثاني بين مدرسة القراء وبين مدرسة الكلام كان له اثره في اتجاه النحاة البصريين إلى الأخذ بمبادئ مدرسة الكلام وتجنبهم الخصائص التي تتجه إليها مدرسة القراءة التي تعتمد على الرواية والنقل ، في حين تعتمد المدرسة الأولى على القياس والعقل .

يدل ذلك على ما رواه الشعبي : « من ان القراءة سنة فاترعا كما قرأوا أولكم » (47) .

وغيماً قاله الداني من ان ائمة القراءة لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الانشىء في اللغة ، والأفيش في العربية ، بل على الايثيث في الاثر ، والاصح في النقل والرواية ، واذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لأن القراءة سنة متّعة ، يلزم تبoliها والمصير إليها (48) .

واستمرت التزعّنة الكلامية التي تقوم على الجدل والمنطق تعمل عملها في النحو منذ عصر سيبويه إلى عصر ابن الحاجب ، فلقد تسرّبت اصطلاحاته وطرائقهم إلى النحو حتى أنه روى عن ابن جنى أنه قال إن أصحابنا انتزعوا العلل عن كتب محمد بن الحسن وجمعوها منه باللاحظة والرقق .

وقد شرحه أبو جعفر المعروف بابن النحاس المتوفى سنة 338 هـ .

وشرحه أيضاً وانتقده ، وانتصر له احمد بن محمد بن ولاد المتوفى سنة 332 هـ وشرحه أيضاً ابن الحاجب ليقرب نحوه لابناء عصره ويوقفهم على إسراره وتركيبة (43) .

7 - ولابن الحاجب قصيدة في المؤنثات السماعية طبعها هافتر وشيخو في بيروت سنة 1908 (44) .

8 - رسالة في العشر - وهو بحث صغير في استعمال الكلمة عشر مع الصفتين أول وأخر ، طبعت في بولن رقم 6894 (45) .

9) وكما كان ابن الحاجب علماً في النحو والصرف كان علماً أيضاً في علم العروض فله منظومة من البحر البسيط عن العروض سماها : « المقصد الجليل في علم الخليل » في ليدن فهرس 2 رقم 273 ، وبرلين رقم 7126 (46) .

وبعد ، فلست في حاجة إلى أن أبين شخصية ابن الحاجب في علمي الأصول والفقه ، فقد كان في هذا المضمار وحيد عصره له انتاج ضخم يشيد بقدره ويشير بفضلة ، ويرفع من ذكره .

وهكذا كان ابن الحاجب علماً في النحو والصرف والعروض ، ونابغة في الفقه والأصول . وقلما تيسر للعالم أن يجمع بين هذه العلوم وبينغ فيها ويجلس على قمتها اللهم إلا إذا كان يتمتع بعقل ناضج ، وتفكير ثاقب ، وذكاء لامع ، وقرحة وقادرة ، وادراك واسع . وقد وجد هذا كله في ابن الحاجب ، كما شهد له بذلك العلماء وأثنى عليه الفضلاء .

ويكتفي أن مؤرخيه ذكروا عنه أنه كان ركناً من أركان الدين والعلم .

(43) سيبويه أمام النحاة - من 188 الاستاذ على النجدي .

(44) دائرة المعارف الإسلامية م 1 من 127 .

(45) المصدر السابق .

(46) المصدر السابق .

(47) غایة النهاية ج 1 من 357 لابن الجزري (مطبعة السعادة)

(48) النشر في القراءات العشر ج 1 من 10 لابن الجزري ، تحقيق محمد أحمد دهمان ط أولى مطبعة التوفيق بدمشق .

انه يختلف عن اسلافه من عدة وجوه اليهذا دليلا واضحا على ان الرجل كان يمزج النحو بالفلسفة وكان يورد القضية التحوية ووراءها دليلها المنطقي . كل ذلك يوضح لنا اثر علم الاصول ، وقضائياها واقيساتها ومنطقها في نحو ابن الحاجب .

و اذا حاولنا ان نأتي بامثلة تؤيد هذا الاتجاه ، فاننا نجد الكثير منها .

### مثال ذلك :

١) في موضوع مسوغات الابتداء بالنكرة يرى ان كل ما دل على معنى العموم صالح للابتداء ، وخرج الآية القرآنية ، « ولعبد مؤمن خير » على هذا الاتجاه (55) .

قال ان المسوغ للابتداء في الآية انما هو معنى العموم وخير خبر المبتدأ « قال لانا قاطعون بأن المراد المفاضلة بين الجنسين لا افرادها المخصوصة » .

واذا قرر ابن الحاجب ذلك لا يكتفي بمجرد سرد النكرة ، وذكر الرأي انما يحاول ان يدعمه بحجه المنطقية ، وادله الفلسفية ما استطاع الى ذلك سبيلا وسبيله الى هذا سبيل الحوار والجدل يورد اسئلة يقتضيها المقام ، ثم يجب عنها اجابة تكشف حقيقتها ، وتوضح غموضها وهذا من غير شك اثر من آثار الفلسفة والمنطق وهكذا الدليل :

يقول : فان قلت — المسوغ هنا الصفة ، قلت لا يستقيم لأنما تكون معتبرة في الموضع الذي لا يراد فيه الجنس ، وثانية هي مخصصة لذلك المفرد المقصود ، وهو مع ذلك ضعيف ، قليل استعماله ورب فكرة بلا صفة احسن مما لها صفة ، والذي أضعفه انه اذا صبح جسم حي في الدار لوجوده الشخص بالصفة ينبغي ان يجوز ، رجل في السدار لانه احسن منه بدرجات ثم قال — « فان قلت الدليل

والحق الذي يقال — ان ابن جني قد وضع الامر في نصاته حينما تمر العلاقة القوية بين النحو وبين علم الكلام والاصول ، بل انه لم يقف عند هذا الحد فقرر ان علل النحو انتزعت من كتب محمد بن الحسن وجمعت منها ، وكتب محمد بن الحسن تقوم على الاصول والمنطق لأن اصول الفقه تعتمد كل الاعتماد على الاقتبسة العقلية ، والقضايا المنطقية وقد نقل السيوطي في الاقتراح : « ان ابن جني قال ، اذا ادركقياس الى شيء ما ، ثم سمعت العرب قد نطقوا فيه بشيء آخر على قياس غيره ، فدع ما كنت عليه ، ثم علق عليه بقوله : وهذا يشبهه في اصول الفقه نفس الاجتهاد اذا بان لنص بخلافه » (49) وهذا النص الذي ذكره ابن جني يوضح تماماً الموضوع ، كيف يقتضي النحو اثر الاصوليين في نظرياتهم وقواعدهم ومناهجهم .

### وبعد :

فاننا اذا اردنا ان ننظر الى اتجاهات ابن الحاجب التحوية فلا ننسى انه كان اصولياً بل وقد كان ضليعاً في علم الاصول ، فقد صنف فيه مختبراً وآخر اكبر منه سماء الممتهني (51) .

وللغبة المنطق والفلسفة على ابن الحاجب ، قال عنه المؤرخون انه كان فقيها مناظراً مفتتاً (52) . وكل الذين كتبوا عن ابن الحاجب ذكروا انه خالف النحو في موضع ، واورد عليهم اشكالات والزamas تتعذر الاجابة عنها (53) .

وتقول دائرة المعارف الاسلامية انه اشتهر في النحو على وجه خاص وهو في هذا الميدان يختلف من عدة وجوه عن اسلامه (54) .

وحيثما يورد ابن الحاجب اشكالاته والزamas للتحويين ليجيبوا عنها ، وهي اشكالات ملمحة والزamas معقدة وحيثما تذكر عن دائرة المعارف ،

(49) الاقتراح ص 86 .

(50) الاقتراح ص 86 .

(51) روضات الجنان بباب العين ص 8 — ع — ص .

(52) نفس المصدر .

(53) شذرات الذهب ج 5 من 234 .

(54) المجلد الاول ج 2 من 126 .

(55) البقرة 221 .

على ان المخصوص بالصفة انك لو قلت : ولعبد خير  
باسقطان الصفة لم يجز ، قلت هو مستقيم في الاعراب ،  
الا ترى انك اذا قلت — العالم قد يهم لكان كلاما مع انه  
كذلك (56)

اليس هذا الحوار فلسفة؟ وماذا تكون الفلسفة اذا لم تكن هذه النظارات فلسفة؟ والذى لا شك فيه ان الناظر العموم ، والخصوص والاعم والآخر اصطلاحات اصولية تقوم عليها نظارات علم الاصول .

وطريقته في الاستدلال من غير شك طريقة  
منطقية فهو يذكر القضية ويورد الاعتراضات عليها ،  
ثم يهدم هذه الاعتراضات اعتراضًا اعتراضًا ليخرج  
بالنتيجة التي تبررها أولاً .

2) **القياس اصل من اصول الفلسفة** وركن كبير من اركان الاصول كان ابن الحاجب يستخدمه في كثير من آرائه النحوية ، فاذا ما خرج شيء عن القياس ، وشذ عنه فان هذا لا يقنع ابن الحاجب ، بل يحاول ان يبحث ويدقق حتى يحدد له نظيرا فلحيقه به .

يقول في كتاب الامالي في مطلب ربه رجلاً :  
الضمير في قوله ، ربه رجلاً ليس بنكرة وانما كان  
حكه حكم النكرات باعتبار كونه مبهمما اطلق عليه  
النكرة لذلك ، ولذلك لم يوصف لانه ضمير بلا خلاف ،  
والضمائر لا توصف ، ثم قال انه مفرد على كل حال  
لانه ضمير على خلاف القياس اى به لغرض الابهام  
فوجوب ان يكون مفرداً تيأساً على نعم .. انتهى (57) .

(3) وتراء يعقب على الزمخشري تعقيباً فلسفياً منطقياً حينما قال - مملياً على قوله في الفصل - المبني هو الذي سكون آخره وحركته لا يعامل - قال ابن الحاجب هذا الحد ليس بمستقيم لأنه اتى في الحد بواو العطف فان قصد الجمع لم يستقم اذ ليس شيء فيه سكون وحركة في آخره وان قصد معنى او كان فيه تزود لنظرى في استعماله الواو بمعنى او ، واستعماله لفظ او في الحد الواحد (58).

٤) وابن الحاجب له بصر بفلسفة الكلمات ، ولمس المعانى الخفية التي تتحملها والتي لا يبصرها

56) حاشية ياسين ج 1 ص 169 (الجلي).

<sup>57</sup>) الامالي لابن الحاجب ص 63 من النسخة رقم

٥٨) نفس المصادر .

(59) الامالي لابن الحاجب ص 67 مخطوط نسخة

وكتاب الجمل « هو كتاب المصريين والشاميين الى ان اشتغل الناس بالللمع لابن جنى ، والايضاح لابي علي الفارسي » (65) .

والجمل والللمع والايضاح منابع من معين كتاب سيبويه البصري . وعلى بن سليمان الاخفش الصفيري الذي قد قرأ على المبرد ، زعيم المدرسة المصرية فيما بعد . قدم مصر سنة سبع وثمانين ومائتين وخرج الى حلب سنة ثلاثة وثلاثمائة وله شرح لسيبويه (66) .

هؤلاء العلماء الوافدون الى مصر من العراق ، وعلماء مصر الذين وفدوا الى العراق احدثوا في مصر نهضة نحوية قوامها كتاب سيبويه ، وما اشتق منه من كتب وظل الامر كذلك حتى تسلم ابن الحاجب هذا التراث البصري المثل في كتاب سيبويه محافظ عليه ، وعمل على نشره لاته الف فيه شرحا (67) .

لهذا لم يكن عجيا ان يكون ابن الحاجب بصرى في آرائه وميلوه في اقتصسته وتعليلاته ، واثر سيبويه في ابن الحاجب واضح وضوها لا ينكر .

والامثلة التي تدل على تأثر ابن الحاجب بالبصريين كثيرة سجلتها مختلف الكتب النحوية واتي اكتفي هنا بمثال واحد تبين فيه حرارة الدفاع عنهم ، وعمق التأثر بهم ، تراه في هذا المثال يعرض آراءهم ثم يترصد للنقد الذي وجه او من الممكن ان يوجه اليهم فيهمه بأدلة منطقية ليدعم مذهب البصريين :

قال في « الامالي » في خبر ما ، ولا المشبهتين بلليس » .

« واختلف الناس في — لا — هذه ، فقال البصريون : هي المشبهة بلليس لأنها الحقت التاء المختصة بالفعل ، فلو لا شبها بالفعل لم تلحقها واذا كانت المشبهة بالفعل فهي التي بمعنى ليس .

وأيضا ، فإن المعنى على قولك ، ليس هذا الحين حين مناص ، وشبها بما تقع فيه لات ، وافتقرتوا

وكتاب سيبويه الذي حوى مسائل النحو البصري ، والذي احاط بكثير من اصولها وفروعها وعللها ، واقتبستها ، سار هذا الكتاب سير الشمس في جميع الاطوار الاسلامية واشتغل الناس به درسا وتمحينا وشرحها واختصارا .

ويحدثنا التاريخ انه ما من عالم مصرى ، او شامي ذهب الى العراق الا وكان كتاب سيبويه هو غایته الاولى ، يدرسه على كبار الشيوخ ثم يعود الى مصر والشام لينشر هذا الكتاب بين الطلاب ، اما بشرحه كما فعل ابو جعفر المعروف بابن النحاس (60) .

وما بتفقهه والانتصار له كما فعل احمد بن محمد ابن ولاد (61) ولم يكن الامر مقصورا على هذه الرحلات الى العراق فحسب ، فقد كان هناك كثير من علماء العراق يندون الى مصر او الشام ويطيب لهم فيها المقام ، ويتصدرون في النحو على اصول كتاب سيبويه نابن بري قرأ العربية على مشايخ زمانه من المصريين والقادمين على مصر ، وحصل له من ذلك ما لم يحصل لغيره وانفرد بهذا الشأن ، وقصده الطلبة من الانفاق وكان غالبا بكتاب سيبويه وعلله واكثر الرؤساء بمصر استفادوا منه وأخذوا عنه (62) .

وعبد الله بن اسحاق الصميري النحوي ابو محمد قدم مصر وحفظ عنه شيئا من اللغة وغيرها ، وصنف كتابا في النحو سماه ( التبصرة ) .

وهذا الكتاب احسن فيه التعليل على مذهب البصريين (63) .

وعبد الرحمن بن اسحاق ، ويعرف بالزجاجي صاحب الجمل نزل بغداد وزلم الزجاج حتى برع في النحو ، ثم سكن طبرية ، وأمنى وحدث بدمشق عن الزجاج ونطويه وابن دريد ، والاخشن الصفيري وغيرهم (64) .

(60) سيبويه امام النحاة على النجدي ص 188.

(61) نفس المصدر ص 188.

(62) انباء الرواية ج 2 ص 111.

(63) انباء الرواية ج 2 ص 123.

(64) البنية ص 297.

(65) الانباء ج 2 ص 161.

(66) البنية ص 338.

(67) دائرة المعارف الاسلامية م 1 ص 126.

2) مذ ومنذ : مذ ومنذ يستعملان اسما في موضعين : احدهما ان يدخل على اسم مرفوع لكره ، وهما حينئذ مبتدآن ، وما بعدهما خبر عنهم واجب التأثير اجراء للرفع مجرى الجر ، وهو مذهب طائفة من الكوفيين واختاره ابن الحاجب (71) .

#### 4 — المسائل التي انفرد بها ابن الحاجب :

عرفنا فيما سبق ان ابن الحاجب سار في ركب البصريين ، ثم خالفهم متبعا الكوفيين في بعض المسائل التي وضع فيها الحق بجانبهم .

فهل كان ابن الحاجب يدور حول هذين المذهبين فحسب ، يختار اقربهما الى نفسه ، واصحهما في عقله وأقاوهما في نقله . او انه خرج عن هذه الدائرة يلتمس الدليل من غير نظر الى هذا المذهب او ذاك » .

كل الادلة تؤيد هذا الاتجاه ، وثبتت ان ابن الحاجب كان اماما مجتهدا في النحو كما كان مجتهدا في الفقه .

ومعنى ذلك ان لابن الحاجب آراء انفرد بها ، وتوجيهات نحوية لم يسبقه احد فيها ، وقد اقر له بذلك كل من ترجموا له ، وكتبوا عنه فقد قالوا ، « خالف النحاة في مواضع ، وأورد عليهم اشكالات والزamas تتعدد الاجابة عنها » (72) . وتقول دائرة المعارف الاسلامية : « وقد اشتهر في النحو على وجه خاص وهو في هذا الميدان يختلف عن اسلافه » (73) .

فما هي اذن المسائل التي خالف فيها النحاة ، والتي انفرد بها وله توجيهات خاصة فيها ؟ ..

لا استطيع ان احصر هذه المسائل في هذا المجال الضيق الذي لا يتسع لها ، وانما اذكر بعضها كاملا تؤيد ما ذكرت .

ما يلزمهم لقيام هذا الدليل ، والذي يلزمهم ان لا يمعنلي ليس شاذ وجوابه انه شاذ ما لم تدخل النساء ، فاما دخلت فليس بشاذ ومنها ما يلزمهم من اضمار الاسم في الحرف ، لأن المعنى عندهم ليس الحين حين مناص ، والحروف لا يضرر فيها .

وجوابه انه قد توى شبهه بالفعل فأجرى مجرى في هذا المثال لكثر الاستعمال مثله .

ومنها ما يلزمهم من اضمار قبل الذكر ، لأن المعنى ليس الحين حين مناص وجوابه : ان مثل هذا اضمار جائز لقيام القرينة الحالية عليه ، واذا قامت القرينة على اضمار كان بمثابة تقدم الذكر (68) .

#### 3 — ابن الحاجب مع الكوفيين :

ومع هذا الدفاع الحار عن البصريين فإنه لم يكن يسلم لهم في مسائل عديدة من مسائل هذا العلم ، لاته امام مجتهد يأخذ ما صح في منطقه ولا يكون معه كالآلة التي لا ارادة لها ولا عقل .

وقد عرفنا ان من مميزات هذا الرجل ، صحة الذهن ، وقوه الفهم ، وحدة القريبة ومن اجل ذلك نراه يوافق الكوفيين في طائفة من المسائل التحويية اكتفى بذكر بعضها كدليل يسند ما اقول :

(1) اللغة عند الكوفيين رواية ونقل ، لا قياس وعقل كما يدعى البصريون حيث يعتقدون بالقياس والمنطق ، ولا يعتمدون على الرواية والنقل .

وابن الحاجب يؤمن بالاتجاه الكوفي في هذا المضمار لانه ذكر في اماميه في مسألة دخول النساء في خبر ان ، واختلف سيبويه والاخنس في هذا الدخول . ذكر ان « الاحكام اللغوية لا ثبت بقياس ، وانما ثبت بالنقل ثم تعلل » (69) .

وعند ابن الحاجب « ان رفع الفاعل ونصب المفعول انتها ثبتا بطريق الاستقراء » (70) .

(68) امامي ابن الحاجب ص 106 .

(69) الامالي : مخطوط رقم 1034 .

(70) مدرسة الكوفة : المخزومي ط ثانية ص 412 .

(71) شرح التصريح ج ص 20 ( الحلبي )

(72) شذرات الذهب ج 5 ص 234 .

(73) دائرة المعارف الاسلامية م 3 ص 126 .

## 1) الاسماء الستة :

قال ابن الحاجب لهم في اعراب هذه الاسماء اقوال :

فظاهر مذهب سيبويه ان لها اعرابين تقديري بالحركات ، ولفظي بالحروف .... ، وهو مذهب ضعيف لحصول الكفاية بأحد الاعرابين .

وقال الكوفيون : انها معربة بالحركات على ما قبل الحروف وبالحروف ايضا وهو ضعيف لمثل ما ضعف له ما تأول المصنف من كلام سيبويه .

ويرى ابن الحاجب : ان اللام في أربعة منها وهي ابوك ، واخوك ، وحموك ، هونوك اعلام للمعاني المتناوبة كالحركات ، وكذلك العين في الباقيين منها اعني نوك ، وذو مال ، فهي في حال الرفع لام الكلمة او عينها ، وعلم العمدة وفي النصب والجر علم الفضلة ، والمضاف اليه فهي مع كونها بدلًا من لام الكلمة وعينها حرف اعراب .

ويؤيد ابن الحاجب في هذا الرأي بقوله : ان دليل الاعراب لا يكون من نسخ الكلمة ، فهي بدل ينفي ما لم ينفيه البدل منه ، وهو الاعراب الثالث في بنت تقيد التائث بخلاف الواو التي هي اصلها ، ولا يبقى ذو ، ونوك على حرف لقيام البدل مقام البدل منه . (74)

## 2) الحال من المضاف اليه :

« لا يثبته ابن الحاجب واتباعه » (75).

## 3) الاستفهام المسوغ للابتداء عنده :

« هو الهمزة المعادلة بام مثل ارجل في الدار ام امرأة » (76).

4) الاضافة لا تفيد الا تخفينا ، وقد ايده في هذا الرأي ابن هشام فقال في التوضيح : « والدليل على

(74) الرضي على الكافية ج 1 من 26.

(75) حاشية ياسين ج 1 من 366 (الحلبي)

(76) التصريح ج 1 من 169 (الحلبي) .

(77) شرح التصريح ج 2 من 28 (الحلبي)

(78) الاعراف : 73.

(79) الرضي على الكافية ج 1 من 190 .

انها اي اضافة الصفة لمفعولها تفيد تخصيصا ان اصل قوله : ضارب زيد ضارب زيدا ، فالاختصاص بالمفعول موجود قبل الاضافة فلم تحدث الاضافة تخصيصا .

قال في التصريح : وفي ذلك رد على ابن مالك حيث رد على ابن الحاجب في قوله ولا تفيد الا تخفينا ، فقال : بل تفيد ايضا التخصص فان ضارب زيد اخصر من ضارب ، قال في المعنى : وهذا سهو فان ضارب زيد اصله ضارب زيدا بالنصب وليس اصله ضاربا فقط فالشخص حاصل بالمفعول قبل ان تأتني الاضافة (77).

5) كل ما دل على هيئة صح ان يقع حالا نحو هذا بسرا اطيب منه رطبا .

قال شارحه الرضي : هذا رد على النحاة فان جمهورهم شرطوا اشتقاء الحال وان كان جاماً دا تكلدوا رده بالتاويل الى المشتق قالوا : لاته في المعنى صفة والصنة مشتقة ، او ما في معنى المشتق فقالوا في نحو : هذا بسرا اطيب منه رطبا هذا بسرا اطيب منه مرطبا ، اي كائنا بسرا ، وكائنا رطبا . وهذه ناتحة الله لكم آية اي دالة (78) .

قال قال المصنف (ابن الحاجب) وهو الحق لا حاجة الى هذا التكليف لأن الحال هو المبين للهيئة كما ذكره في حده ، وكل ما قام بهذه الفائدة فقد حصل فيه المطلوب من الحال ، فلا يتکلف تاویله بالمشتق » . (79) .

## 6) لمو حرف امتناع :

انها تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره ، واختلف في المراد بذلك .

قال ابن الحاجب في اماليه :

« انها امتناع الاول اي الشرط للثاني اي لامتناع الجواب ، ووجهه بأن انتقاء السبب لا يدل على انتقاء مسببه لجواز ان يكون ثم اسباب اخر .

جني ، وتعتبر بديل الى ترك النحو ممزوجاً بالادب والشعر والرواية بعيداً عن حقائق المنطق والتعليلات والتقطيسيات وعلى رأس هؤلاء ابو سعيد ، وتلميذه ابن خالويه » (83) .

وعلى الرغم من أن أبا علي أو بالآخرى مدرسة أبي علي كانت تتميز باللحن والقيمة فانها لم تتعصب فيه الى حد المبالغة كما كان الحال عند الرمانى الذى غالى فى اقيمتى المنطقية حتى قال فيه أبو علي : ان كان النحو ما يقوله الرمانى هو النحو وليس معناه منه شيء ، وان كان ما نقوله نحن ، فليس معه منه شيء (84) . ولهذا السبب ظلت مدرسة أبي علي خالدة لتقويمها في النحو وأقيمتها ، تلك القيمة التي كانت تتبعها في المبالغة .

وهذه المدرسة قامت على اصول مدرسة البصرة وقواعدها فطابع البصرية فيها واضح وضوها لا ينكر ، والدليل على ذلك انه في كتابه الايضاح لا يرى التعجب من السواد والبياض مباشرة ، والكونيين يرونـ (85) .

ويجوز في باب كان عنده ان يتقدم الخبر على الاسم (86).

وإذا كان أبو علي الفارسي مصاحب مدرسة في النحو لمع نجمه في القرن الرابع الهجري ، وظللت قبساً مضيئاً للنحوة المتأخرة، فهل أخذ ابن الحاجب هذا القبس؟ وهل تأثر بهذه المدرسة؟

ذكر الرواة ان كتاب « الجمل » للزجاجي وهو كتاب المصريين واهل المغرب واهل الحجاز واليمن والشام الى ان اشتغل الناس باللمع لابن جنبي والايضاح لابي علي الفارسي (87).

ومعنى هذا الكلام ان كتاب الجمل كان مدرسة قائمة بذاتها في النحو الى ان ظهر كتاب الايضاح للنارسي واللمنع لابن جنى فاشتغل الناس بهما وكانوا

قال ويدل على هذا : « لو كان فيما آلة الا الله لفسدنا » فانها مسوقة لنفي التعدد في الآلة بامتناع الفساد ، لا ان امتناع الفساد لامتناع الآلة ، لانه خلاف المفهوم من مساق امثال هذه الآية ، ولانه لا يلزم من انتقاء الآلة انتقاء الفساد لجواز وقوع ذلك وان لم يكن تعدد في الآلة ، لان المراد به فساد نظام العالم عن حالته، وذلك جائز ان لا يفعله الا الله الواحد سبحانه « وتابعه على ذلك ابن الحنبار ».

وأستنكر ابن هشام في المغني مقالة ابن الحاجب  
ومن تبعه (81).

## 5 - ابن الحاجب وأبو علي الفارسي :

تطورت الدراسة النحوية في القرن الرابع الهجري على يد أبي علي الفارسي تطوراً كبيراً، وقد عمل على هذا التطور تلك المناظرات التي كان يعتقدها سيف الدولة الحمداني بين كتاب النحويين فضلاً عن المحاورات والمناقشات التي كانت تدور بين النحويين في مناسبات مختلفة.

فقد كانت هناك مناقشة بين أبي علي الفارسي وبين أبي سعيد السيرافي ، ولقد قارن التوحيدى بين هذين النحوين الكبيرين ، وكان تحيزه لشيخه الفارسي ظاهرا (82) . وكانت هناك أيضا خصومة عنيفة بين أبي علي ، وبين ابن خالویه تلميذ أبي سعيد السيرافي » .

وأن الباحث في هذه المناقشات التي بين هؤلاء العلماء يرى أنها قدمت للنحو ثروة كبيرة ، لأنها أذكى نار البحث والتقد « وجعلت علماء العالم ينقسمون إلى قسمين فقسم يميل إلى التيسير والتعميل والتعتمق ، وتعقيد القواعد في النحو والصرف ، وعلى رأس هذا القسم أبو علي الفارسي ، وتميذه ابن

الانتباه : 22 (80)

. 64) اللمع ج 2 ص 81

. 253 معجم الادباء ج 6 من 82

83) مجلة المجمع العلمي العربي

344) البنية من

(85) أبو علي الفارسي د. شلبي ص 532 .

<sup>86</sup>) أبو علي الفارسي د . شلبي ص 532 .

<sup>87</sup> الآباء ج 2 ترجمة الزجاجي ص 165 .

قام الزيدون والثانية في الفعل في نحو قاتم المدمرات، خلافاً للكوينيين غيرهما ، فإنهم أجازوا في الفعل مع كل من جمعي التصحيح التذكير والثانية .

وخلالاً للفارسي من البصريين في جمع تصحيح المؤنث ، فإنه انفرد عن أصحابه بجواز الامرين ووافق أصحابه في وجوب تذكير الفعل مع تصحيح المذكر قال ياسين في حاشيته : ان ابن الحاجب مثى على مذهب الفارسي (92) .

(3) وتختص الواو بجواز عطفها عاملاً قد حذف ، وبقي معموله مرتفعاً كان نحو أسكن انت وزوجك الجنة (93) او منصوباً نحو : والذين تتبعوا السدار والايمان (94) . او مجرور نحو : ما كل سوداء ثمرة، ولا ببيضاء شحمة ، وإنما لم يحصل العطف فيهن على الموجود في الكلام بدون حذف لثلا يلزم في الاول رفع فعل الامر للاسم الظاهر وفي الثاني كون الايمان متبايناً وإنما يتبعوا المنزل ، وفي الثالث العطف على معمولي عاملين مختلفين ، وذلك لا يجوز عند سيبويه والآخرين .

وقيل يجوز مطلاقاً حكاية الفارسي وابن الحاجب عن القراء (95) .

(4) الضمير اذا اتصل برب مثل ربه فتى او ربه رجالاً .

ذهب جماعة كابن عصفور والزمخشري ان الضمير نكرة عائدة على واجب التفكير وقال جماعة كالفارسي معرفة جارجري الفكرة (96)

وابن الحاجب يقر في اماليه في مطلب «ربه رجال» ان الضمير في قوله : ربه رجال ليس بنكرة ، وإنما كان حكمه حكم النكرات باعتبار كونه مبهاً اطلق عليه

كمدرسة خلفت مدرسة «الجمل» وقد دوى صوت هذه المدرسة في العراق والشام ومصر .

ومن المصريين الذين عنوا بالإيضاح ابن بري المصري (88) .

ومن العلماء المصريين الذين اهتموا بالإيضاح ايضاً في القرن السابع الهجري ابن الحاجب فقد درس وشرحه (89) .

من هذه النصوص التي ذكرتها نستطيع ان ندرك مدى قيمة نحو الفارسي المثل في كتاب الإيضاح في الدراسات النحوية . ونستطيع ان نلمع أيضاً اثر الفارسي في ابن الحاجب ، فدراسة لكتاب الإيضاح وشرحه له يبين لنا اثر الفارسي في ابن الحاجب .

والدارس لكتاب الكافية يرى انها سارت على نسق ترتيب أبي على في الإيضاح وذلك لأن الزمخشري في كتاب المفصل نظر إلى ترتيب أبي على في كتاب الإيضاح حيث جعل كتابه مقسوماً على أربعة أقسام: أسماء وأفعال وحرروف ومشترك بين أحوالها (90) .

وقد قال النحاة عن كافية ابن الحاجب : إنها تلخيص للمفصل وحقيقة الامر ان ابن الحاجب كان متأثراً في كافيته بالإيضاح وبالفصل معاً .

امثلة توضح اثر الفارسي في ابن الحاجب :

(1) « اذا كان الخبر طرفاً ، او جاراً او مجروراً رجع ابن الحاجب تبعاً للزمخشري والفارسي تقدير الفعل ، لانه الاصل في العمل ولتعيينه في الصلة » (91)

(2) اختلف النحاة في الحال تاء الثانية بالفعل في جمعي التصحيح المذكور والمؤنث – سيبويه وجمهور البصريين يوجبون التذكير في الفعل في نحو

(88) سيبويه امام النحاة ص 187 .

(89) كشف الظنون مجلد 1 نهر 212 .

(90) شرح المفصل للزمخشري : ابن يعيش ج 1 من 17 ط المنيرية .

(91) الجمع ج 1 من 98 – 99 .

(92) التصريح والحاشية ج 1 من 280 .

(93) البقرة : 35 .

(94) الحشر : 9 .

(95) التصريح ج 2 من 154 .

(96) حاشية الصبان على الاشموني ج 2 من 207 (الحلبي) .

نظرياتهم حتى سيبويه امام النحو واستناده وضع آراءه على المشرحة فما صح اخذه وما لم يصح رفضه، وقد تقدمت امثلة تؤيد هذا الذي قلت . ولا استطيع في هذا المجال الضيق ان اعدد المأخذ التي اخذها ابن الحاجب على ابي علي ، الا اني اكتفي بسرد بعضها كدليل على ان ابن الحاجب كان شخصية مستقلة ، تؤمن بالاستقلال الى حد كبير .

قال الاشموني شارحا قول ابن مالك في المتنوع من الصرف .

وكن لجمع مشبه مناعلا او المفاعيل بمنع كاغلا

يعني انه مما يمنع من الصرف الجمع المشبه مفاعيل او مفاعيل ، اي في كون اوله مفتوحا ، وثالثها الفا غير عوض ، يليها كسر غير عارض ملفوظ او متدر على اول حرفيه بعدها ، او ثلاثة اوسطها سakan غير مستوي به وبما بعده الاتصال ، فان الجمع متى كان بهذه الصفة كان فيه فرعية اللفظ بخروجه عن صبغ الاحد العربية وفرعية المعنى بالدلالة على الجمعية فاستحق منع الصرف .

ثم قال في التبيهات : اتفقا على ان احدى العلتين هي الجمع واختلفوا في العلة الثانية .

فقال ابو علي : هي خروجه عن صبغ الاحد، وهذا الرأي هو الراجح .

وقال قوم : العلة الثانية تكرار الجمع تحتينا او تقديرنا فالتحقيق نحو : اكالب ، واراهط ، اذ هما جمع اكلب وارهط والتقدير نحو مساجد ومنابر فانه وان كان جمعا في اول وهلة لكنه بزنة ذلك المكرر اعني اكالب واراهط نكأنه ايضا جمع جمع ، وهذا اختيار ابن الحاجب ، واستضعف تعليق ابي على بأن افعلا وافعلا نحو افراس واقلس جمعان ، ولا نظير لهما في الاحد ، وهما مصروفان (98) .

### (1) الزمخشري وابن الحاجب :

كان ابن مالك يقول عن ابن الحاجب : انه اخذ نحوه من صاحب المفصل وصاحب المفصل نحوه صغير (99) .

النكرة ، ولذلك لم يوصف ، لانه ضمير بلا خلاف والضمائر لا توصف (97) واذا قارنا بين قول ابي علي وبين قول ابن الحاجب في هذا الضمير لرأينا النكرة واحدة .

هذه امثلة تدل على ان ابن الحاجب كان يميل احيانا الى آراء ابي علي في كثير من المسائل النحوية ، وليس في هذا الميل تخصان لشخصية ابن الحاجب فابو علي امام مجتهد في النحو تطور النحو على يديه بما وضع من مطابيس وتعليلات وكانت له نزعة بصرية توجهه وجهتهم في كثير من المسائل النحوية ، فلا حرج اذن على ابن الحاجب المنطقي الذي يؤمن بالقياس والعلة ، والبرهان والجدل — شأنه شأن البصريين .. لا حرج عليه ان يتأثر بآبي علي في بعض المسائل النحوية ، لانه يشبهه الى حد كبير في نزعته الى القياس وميله الى المنطق .

على ان تبعية ابن الحاجب للفارسي ليست تبعية عمباء ، وانما التبعية التي يتضح فيها الدليل ، ويستقيم المنطق ، وتتبين فيها الحاجة ولا ادل على ذلك من ان ابن الحاجب خالف ابا علي في بعض المسائل ، خالقه لانه لم ير في رأيه القوة التي تحمله على التبعية .

ومن غير شك ، ان هذه المخالفة ان دلت على شيء فانها تدل على شخصية ابن الحاجب النحوية تلك الشخصية التي لا تتقبل رأيا الا بعد تمحیص وتدقيق وبحث ومناقشة ، لا تتقبل رأيا الا بعد ان تسلط عليه اصواته عقلها ، وتشعر فكرها للتبيين وجه الحق فيه ، فماذا ما صح هذا الرأي في نظره اخذه من غير مبالغة ايا كان مصدره وابا كان منبعه بصرريا او كوفيا او بغداديا .

وإذا لم يصح في رأيه رفضه ، ومع الرفض الاسباب المنطقية التي دعته الى الرفض اذن فابن الحاجب لا يقتيد بمذهب معين ولا بتوجيه معين ، لا يتعصب للبصريين او للكوفيين من غير نظر وروية ، لا يؤمن بقداسة كبار النحاة ولا بالآراء التي تصدر عنهم فكما قدمت رأينا كيف نقاش البصريين ، ورفض بعض مسائلهم ، كما انه ناقش الكوفيين ، وهدم بعض

(97) الامالي ص 63 ( مخطوط 1034 ) نحو دار الكتب .

(98) الاشموني ج 3 ص 243 .

(99) البغية ص 55 .

وقال الإمام الزمخشري - انه مخوض على الجوار ، وليس يحيد اذ لم يات الخفاض على الجوار في القرآن الكريم ، ولا في الكلام النصيّح ، وإنما هو شاذ في كلام من لا يؤبه له من العرب فلتتحمل الآية على ما ذكر (101).

وهذا الرد من ابن الحاجب ينبعها إلى أمر آخر خالف فيه الزمخشري كل المخالفة وذلك لأن الزمخشري كان يؤيد مذهب أبي على في القياس ، فقد كان يرى الاحتياج بقول المولدين ، والقياس عليهما (102).

اما ابن الحاجب فلم يتبع هذا ولا ذاك ، بل يقرر ان الاستشهاد النحوي يبحث عنه في القرآن الكريم ، ثم في الكلام النصيّح ، اما ما عدا ذلك فهو كلام من لا يؤبه له من العرب من لا يصح في مذهبـه ان يستشهد بقوله او يؤخذ بكلامـه .

(2) تعييـه على الزمخشري حينـما قال : البنـي هـو الذي سـكون آخرـه وحرـكتـه لا يـعامل ... تـقدم ذـكر ذـلك صـ 18 ، من الـبحث .

وليس معنى مخالفة ابن الحاجـب للزمـخـشـري انه كان متـعـصـباً ضـده يـنتـقدـه في كل رـأـي ويـهـدـمـه في كل فـكـرـة ، لا .. لم يكن هذا من شـيمـة ابن الحاجـب لـانـه كان رـائـدـه الحقـ ، والـحقـ وـحـدهـ ، اـنـى وجـهـ اـخـذـهـ بـغـضـ النظر عن مصدرـهـ وـمـبـعـهـ .

لهـذا فقد وافقـ الزـمخـشـري في بعضـ المسـائلـ التي وضعـ فيها الدـلـيلـ وليسـ معـنىـ هـذـهـ الـوـافـقـةـ اـنـهـ اـخـذـ نـحـوـهـ مـنـهـ ، لـانـ ابنـ الحاجـبـ لاـ يـوـافـقـ عـلـىـ رـأـيـ الاـ بـعـدـ مـاـ نـاقـشـةـ وـبـحـثـ ، موـافـقـةـ مـصـدرـهـ الـاجـتـهـادـ وـالـعـقـمـ لـاـ اـتـبـاعـ وـالـتـقـلـيدـ .

فـمـنـ المسـائلـ التي وـافـقـ فيهاـ ابنـ الحاجـبـ الزـمخـشـريـ :

(1) السـمـوـاتـ : قولهـ تعالىـ : خـالـقـ اللهـ السـمـوـاتـ (103) مـنـعـولـ مـطـلقـ لـبـيـانـ التـوـعـ عـنـدـ الزـمخـشـريـ وـابـنـ الحاجـبـ .

ومـعـنىـ هـذـهـ الـعـبـارـةـ اـنـ اـبـنـ الحاجـبـ تـلـمـيـذـ للـزمـخـشـريـ تـأـثـرـ بـهـ وـسـارـ عـلـىـ نـهـجـهـ وـرـدـدـ آـرـاءـهـ وـدـافـعـ عـنـهـ ، وـلـيـسـ لـهـ نـكـرـ مـسـتـقـلـ يـسـتـعـمـلـهـ فـيـ الـعـوـيـصـ مـنـ الـمـشـكـلـاتـ النـحـوـيـةـ وـبـعـبـارـةـ اـخـرىـ ، لـيـسـ اـبـنـ الحاجـبـ اـمـاـ مـجـهـدـاـ فـيـ النـحـوـ ، يـأـخـذـ مـاـ يـمـلـيـهـ عـلـىـ غـيرـهـ مـنـ غـيرـ نـظـرـ اوـ بـحـثـ .

وـحـقـيـقـةـ الـامـرـ اـنـ صـحـ مـاـ قـالـهـ اـبـنـ مـالـكـ ، فـانـ هـذـاـ تـقـلـيلـ مـنـ مـكـانـةـ الرـجـلـ مـنـ غـيرـ دـلـيلـ ، وـتـضـعـيفـ لـشـخـصـيـتـهـ مـنـ غـيرـ حـجـةـ .

وـالـحـقـيـقـةـ الـتـيـ لـاـ شـكـ فـيـهاـ اـنـ اـبـنـ الحاجـبـ كـمـاـ تـلـتـ اـكـثـرـ مـنـ مـرـةـ لـهـ شـخـصـيـتـهـ الـمـسـتـقـلـةـ فـيـ تـوـجـيهـهـ وـفـيـ آـرـائـهـ وـهـوـ وـاـنـ تـأـثـرـ بـالـبـصـرـيـنـ اوـ بـأـبـيـ عـلـىـ فـيـ بـعـضـ الـمـوـاطـنـ فـهـوـ التـأـثـرـ الـذـيـ لـاـ يـذـبـ شـخـصـيـتـهـ وـلـاـ يـنـيـ تـفـكـيرـهـ وـلـاـ يـمـيـتـ عـنـهـ .

وـالـدـلـيلـ الـأـوـضـحـ عـلـىـ اـنـ اـبـنـ الحاجـبـ لـمـ يـكـنـ نـسـخـةـ طـبـ الـأـصـلـ مـنـ الـزمـخـشـريـ يـرـدـدـ آـرـاءـ وـيـتـبـعـ بـأـقـوـالـهـ ، وـيـأـخـذـ بـوـجـهـ نـظـرـهـ كـمـاـ اـدـعـيـ اـبـنـ مـالـكـ هـوـ اـمـلـأـوـهـ عـلـىـ الـمـفـصـلـ لـلـزمـخـشـريـ ، وـنـقـدـهـ لـهـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـمـسـائـلـ وـفـيـ كـتـابـ : الـإـمـالـيـ : جـعـلـ قـسـماـ خـاصـاـ لـأـمـلـائـهـ عـلـىـ الـمـفـصـلـ نـاقـداـ وـمـوجـهاـ ، شـارـحـاـ وـمـمـحـصـاـ مـاـ يـدـلـ عـلـىـ اـنـ اـبـنـ الحاجـبـ صـاحـبـ قـرـيـحةـ وـقـادـةـ مـنـ الصـعـبـ عـلـىـهـاـ اـنـ تـسـيرـ فـيـ رـكـبـ ايـ اـتـجـاهـ نـحـويـ مـنـ غـيرـ اـنـ تـبـصـرـ الـهـدـفـ وـتـتـعـرـفـ عـلـىـ الـطـرـيقـ .

(1) قال رضـيـ اللـهـ عـنـهـ مـمـلـيـاـ عـلـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ وـامـسـحـوا بـرـعـوسـكـ وـارـجـلـكـ (100) مـنـ قـرـاـ بالـخـفـاضـ عـطـنـاـ عـلـىـ قـوـلـهـ بـرـعـوسـكـ ، وـالـرـادـ اـغـسـلـوا اـرـجـلـكـ وـلـيـسـ الـخـفـاضـ عـلـىـ الـمـجاـوـرـةـ وـانـماـ عـلـىـ الـاسـتـفـنـاءـ باـحـدـ الـفـعـلـيـنـ عـنـ الـآـخـرـ .

وـالـعـربـ اـذـ اـجـتـمـعـ فـعـلـانـ مـقـتـارـيـانـ فـيـ الـمـعـنـىـ وـلـكـلـ وـاـحـدـ مـتـعـلـقـ جـوـزـتـ ذـكـرـ اـحـدـ الـفـعـلـيـنـ وـعـطـفـ مـتـعـلـقـ الـمـحـذـفـ عـلـىـ الـذـكـورـ عـلـىـ حـسـبـ مـاـ يـقـنـصـيـهـ لـنـظـهـ حـتـىـ كـاـنـهـ شـرـيكـهـ فـيـ اـصـلـ الـفـعـلـ اـجـراءـ لـاـحـدـ الـمـقـتـارـيـنـ مـجـرـيـ الـآـخـرـ كـتـوـلـهـ تـقـلـدـتـ بـالـسـيـفـ وـالـرـمـحـ ، وـعـلـقـتـهـ بـالـتـبـنـ وـالـمـاءـ .

(100) المائدة : 6

(101) الامالي : ص 55

(102) من اسرار اللغة . الدكتور ابراهيم انيس ص 20

(103) العنكبون : 29

فرحوا به ، وانا شديد التعجب منهم فانهم اذا جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقها دليلا على صحتها ملأن يجعلوا ورود القرآن دليلا على صحتها كان اولى (109) .

وابن الحاجب لم يكن كما كان غيره من النحاة البصريين ينظرون الى القراءات نظرة الريبة والشك، بل كان يؤمن بتواتر القراءات السبع وان الاستشهاد بها اخرى من الاستشهاد بغيرها واقوى . وقد قلت سابقا : انه رد الخوض على الجوار وبين انه غير جيد اذ لم يأت في القرآن الكريم بقراءاته المشهورة ، ثم الكلام الفصيح قال ابن الحاجب في مختصر المنتهى : ان القراءات السبع متواترة فيما ليس من قبل الاداء، كالد والامالة وتخفيف الهمزة ونحوها (111) .

ومع هذا لم يسلم ابن الحاجب من النقد في قوله: « ان المد والامالة وتخفيف الهمزة ، ونحوه غير متواتر » .

فقد تعرض له ابن الجزري بقوله : ليت شعري من الذي تقدم ابن الحاجب بهذا القول فتفسن اثره ؟ نلو فكر الشيخ فيما قاله لما اقدم عليه ، وليت الامام ابن الحاجب اخلى كتابه من ذكر القراءات واثرها كما اخفى غيره كتبهم منها ، بل ليته سكت عن التمثيل (112) .

هذا واذا قارنا بين ما قاله ابن الحاجب عن القراءات وتواثرها بما قاله الزمخشري عنها لوجدنا ان ابن الحاجب يختلف تمام الاختلاف عن الزمخشري فالقراءات عند الزمخشري غير متواترة ويبني على هذا ان الزمخشري يسقط القراءات من حسابه فيسقط اصلا من اصول الاستشهاد في اللغة كبيرة .

وذلك كما يقول ابن هشام في المغني : ان المفعول به ما كان موجودا قبل الفعل الذي عمل فيه ، ثم اوقع الفاعل به فعلا .

والمعنى المطلق ما كان الفعل العامل فيه هو فعل ايجاده ، وان كان ذاتا لان الله سبحانه موحد للفعال وللذوات جميعا (104) .

(2) وسواء عليهم النذر لهم ام لم تذرهم (105) .

الزمخشري مثل بالآية لتقدم الخبر . قال ابن الحاجب : كون سواء خبرا مقدما هو الصحيح ، وقول الأكثر (106) .

(3) جميع الاوزان من غير الثلاثة اسم ناعل مطلقا عند ابن الحاجب والزمخشري لان الصفة المشبهة عندهم لا تكون مجارية للمضارع وان لم يقصد بها الحدوث (107) .

## 7 - ابن الحاجب والقراءات :

القرآن الكريم افضل ما يحتاج به في تقرير اصول اللغة ، شأنه نزل بلسان عربي مبين .

ولا يمتري احد في انه بلغ من الفصاحة وحسن البيان الفروة التي ليس يعدها مرتبى ، فيحسب ان نأخذ بالقياس على ما ورد عليه ، كلمة ، وآياته من احكام لنطية (108) .

وقال الرازي في تفسيره عند قوله تعالى : «تسألكم الله والارحام» ، اذا جوزنا اثبات اللغة بشعر مجهول ، فجواز اثباتها بالقرآن العظيم اولى وكثيرا ما نرى النحويين متحيرين في تقرير الانفاظ الواردة في القرآن الكريم ماذا استشهدوا في تقريرها ببيت مجهول

(104) التصريح ج 1 من 80 .

(105) البقرة : 6 .

(106) حاشية ياسين ج 1 من 155 .

(107) حاشية ياسين ج 2 من 78 . طر الحلبي

(108) القراءات واللهجات عبد الوهاب حموده من 129 .

(109) نفس المصدر من 130 .

(110) الامالي من 130 .

(111) مختصر المنتهى الاصولي ص 49 مطبعة كردستان العلمية .

(112) القراءات واللهجات ص 70 .

ثم قال أبو حيان موجهاً نقداً للذمختري حيث رد قراءة ابن عامر : « واعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت ، واعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقراء الآئمة الذين تخيرتهم هذه الآية لقتل كتاب الله شرقاً وغرباً ، وقد اعتمد المسلمون على نقلهم لضبطهم ومعرفتهم وديانتهم (115) .

ومن هنا نعرف لابن الحاجب قدره فهو لم يكن كالزمختري يجري وراءه ويقتفي أثره في كل ما يقول ابن مالك : أخذ نحوه عن صاحب المفصل . وصاحب المفصل نحوه صغير .

هذه خطوط عريضة لاتجاهات ابن الحاجب النحوية ، فهو بصرى أنصح له دليل البصريين ، وهو كوفي أن وضحت له حجة الكوفيين وهو متأثر بآبى علي اذا كان رأيه مؤيداً بالنطق وبتبع الزمخشري اذا كان دليلاً مدعماً بالبرهان .

ورجل شأنه هكذا لابد ان يكون مستقلاً في آرائه وتوجيهاته ، بعيداً عن التعمّب ونزاعات الهوى ، تقريباً من الحق آنى وجده ، تحيط بآرائه أدلة كما يحيط السوار بالمعصم يستشهد بالقرآن الكريم ، وبالقراءات المتواترة ، وبالكلام العربي الفصيح ، يستخدم القياس وقضايا المنطق في مسائل النحو ، وينظر إلى العلة نظرة التقديس والاجلال .

قال الزمخشري في تفسيره « الكشاف » عند تعرسه لتفسیر الآية القرآنية « وكذلك زين لكتير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم » : واما قراءة ابن عامر : قتل أولادهم شركائهم ، برفع القتل ، ونصب الأولاد وجرا الشركاء على أصناف القتل الى الشركاء والنصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمحاً مردوداً ، فكيف به في الكلام المنشور ، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته .

والذي حمله على ذلك انه رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبـاً بـالـيـاءـ ، ولو قـرـأـ جـرـ الأولاد والشركاء ، لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم لـوـجـدـ في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (113) .

قال أبو حيان معقباً على الزمخشري في تفسيره ( البحر ) :

« وقرأ ابن عامر كذلك الا انه نصب اولادهم وجر شركائهم ، فصل بين المصدر المضاف الى الفاعل بالفعل وهي مسألة مختلفة في جوازها نجمبور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتاخروهم ، ولا يجيزون ذلك الا في ضرورة الشعر .

وي بعض التحويين اجازها ، وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصحيح المحض ابن عامر ، الاخذ بالقرآن على عثمان بن عفان قبل ان يظهر اللحن في لسان العرب (114) .

(113) الكشاف : الزمخشري ج 2 من 70 ط ثانية ( مطبعة دار الاستقامة )

(114) البحر المحيط : ج 4 من 229

(115) البحر المحيط : ج 4 من 230 .

## مراجع البحث

- (1) الاشيه والنظائر في النحو : السيوطي : الطبعة الثانية : حيدرabad .
- (2) الاقتراح : السيوطي : مطبعة دار المعارف النظامية : حيدر أباد .
- (3) الامالي : ابن الحاچب مخطوط رقم 1007 نحو - دار الكتب المصرية .
- (4) انباء الرواۃ : جمال الدين على بن يوسف القنطري : تحقيق الاستاذ أبي الفضل . مطبعة دار الكتب .
- (5) البحر المحيط : اثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان : مطبعة السعادة .
- (6) البداية والنهاية : أبو النداء عماد الدين اسماعيل .
- (7) البغية : السيوطي : مطبعة السعادة ( الطبعة الاولى ) .
- (8) تاريخ سوريا : يوسف الياس مطران : مطبعة بيروت 1952 .
- (9) حاشية الصبان على الاشموني : محمد بن علي الصبان : مطبعة الحلبي .
- (10) حاشية ياسين على التصريح : ياسين بن زين الدين العلبي : مطبعة الحلبي .
- (11) الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية : الدكتور أحمد احمد بدوي : مطبعة نهضة مصر .
- (12) خطط الشام : محمد كرد علي : المطبعة الحديثة بدمشق 1925 .
- (13) دائرة المعارف الإسلامية .
- (14) روضات الجنات في احوال العلماء والسداد : محمد باقر بن زين العابدين .
- (15) سيفويه امام النحاة : الاستاذ علي النجدي : مطبعة لجنة البيان العربي .
- (16) شذرات الذهب : ابن العماد .
- (17) شرح التصريح : الشیخ خالد بن عبد الله الاذہری - مطبعة الحلبي .
- (18) شرح الرضى على الكافية : محمد بن حسن الرضى : مطبعة مجمع الرضى 1275 هـ .
- (19) الطالع السعيد : الادفعي : كمال الدين أبو الفضل : مطبعة الجمالية بمصر .
- (20) الظاهر بيبرس وحضاره مصر في عهده . دكتور جمال الدين سرور - دار الفكر العربي .
- (21) أبو علي الفارسي : دكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي : مطبعة نهضة مصر .
- (22) غایة النهاية : ابن الجزری : مطبعة السعادة .
- (23) القراءات واللهجات : الاستاذ عبد الوهاب حموده : مطبعة السعادة .
- (24) الكشاف عن حقائق غوامض التقزيل - الزمخشري : مطبعة دار الاستقامة .
- (25) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : وكالة المعارف باستانبول .
- (26) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
- (27) مختصر المنتهي الاصولي : ابن الحاچب : مطبعة كردستان .
- (28) مدرسة الكوفة : الدكتور مهدي المخزومي : مطبعة الحلبي .
- (29) معجم الادباء : ياقوت بن عبد الله الحموي : مطبعة الحلبي .
- (30) من أسرار اللغة : الدكتور ابراهيم انیس : مطبعة لجنة البيان العربي .
- (31) النجوم الظاهرة : جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تفزي بردي - مطبعة دار الكتب المصرية .
- (32) النشر في القراءات العشر : ابن الجزری : مطبعة التوفيق بدمشق .
- (33) همع الوامع جمع الجواب : السيوطي : مطبعة السعادة .
- (34) وفيات الاعيان : ابن خلکان : تحقيق الاستاذ محمد محی الدین - مطبعة السعادة .

# علم الحركة في الفلسفة العربية

## مفاهيمه وأفاضله

الدكتور جلال شوقي - جامعة القاهرة -

العلوم سبع رسائل ، أولها هذه الرسالة التي ذكرنا فيها الهيولي والصورة والحركة والمكان والزمان ، اذ كانت هذه الاشياء الخمسة محتوية على كل جسم ». ويستطرد اخوان الصفا في رسالتهم فيعرفون كلا من هذه الاشياء على النحو التالي :

« اعلم وفتك الله ان معنى قول الحكماء « الهيولي » انما يعنون به كل جوهر قابل للصورة ، وقولهم « الصورة » يعنون به كل شكل ونقطة يقبله الجوهر . واعلم ان اختلاف الموجودات انما هو بالصورة لا بالهيولي ... » .

« أما المكان عند الجمهور فهو الوعاء الذي يكون فيه المتمكن » .

« وأما الحركة التي تبصري التقلة فهي عند جمهور الناس الخروج من مكان الى مكان آخر ... »

« ثم اعلم انه لا تتنفصل حركة عن حركة الا بسكن بينهما ، وهذا يعرنه ولا يشك فيه اهل صناعة الموسيقى ، وذلك ان صناعتهم معرفة تاليف النغم ، والنغم لا يكون الا بالاصوات والاصوات لا تحدث الا من تصادم الاجسام ، وتصادم الاجسام لا يكون الا بالحركات ، والحركات لا تتنفصل بعضها عن بعض الا بسكنات تكون بينها » .

درس العرب حركة الاجسام ضمن نطاق « الطبيعيات » ، فحددوا مفاهيمها وعناصرها ، ووضعوا لها التقسيمات المختلفة ، واستعملوا في كتاباتهم لفاظاً معينة منها الفاظ « المبدأ » و « الميل » و « الاعتماد » و « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرك » وذلك للدلالة على معانٍ شتى . وبهذا الباحث في الفلسفة العربية أن يقف تماماً على المعاني التي وردت فيها هذه الانفاظ حتى يتضمن له الوقوف على ما توصل اليه العرب في مجال علم الحركة ، ويقدم هذا البحث عرضاً شاملـاً وتحليلـاً دقيقـاً لمفهوم الحركة والفاظها كما جاءت في كتب الفلسفة والحكمة العربية.

### 1 - الطبيعيات وعلم الحركة

تعرض العرب بالدراسة لحركة الاجسام في كتب الفلسفة لا سيما في قسمي «الطبيعيات» و «الالهيات» ونبين فيما يلي بعض كتابات العلماء وال فلاسفة العرب التي تدل على نسبتهم لعلم الحركة لقسم «الطبيعيات».

يقول اخوان الصفا (1) في رسالتهم الخامسة عشرة (2) :

« والامور الطبيعية هي الاجسام وما يعرض لها من الاغراض اللازمة والمزالية ، وقد علمنا في هذه

(1) من علماء وفلسفـة القرن العاشر الميلادي .

(2) هي نفسها الرسالة الاولى في الجـسمـيات الطـبـيعـيات .

المنسوب الى الطبيعة ، وهو المشتمل على الطبع  
پساير المحسوسات من الحركات والمحركات  
والمحركات وما مع الحركات وبالحركات والمحركات  
وفي المحركات من الآثار المحسوسة » .

ويمضي ابن ملکا في الورقة الخامسة من نفس  
المخطوط يقول :

« ... وقوم سموا بالطبيعة كل قوة جسمانية ،  
اعنى كل مبدأ فعل يصدر عن الاجسام مما وجوده  
فيها ، ف تكون الامور الطبيعية هي الامور النسوية الى  
هذه القوة ، اما على أنها موضوعات لها ولما يصدر  
عنها كالاجسام ، فتقال اجسام طبيعية ، واما آثار  
وتحركات وهنات صادرة عنها كالالوان والأشكال .

والعلوم الطبيعية هي العلوم الناظرة في هذه  
الامور الطبيعية ، فهي الناظرة في كل متحرك وساكن  
وما عنه ، وما به ، وما منه ، وما اليه ، وما فيه  
الحركة والسكن .

والطبيعيات هي الاشياء الواقعية تحت الحواس من  
الاجسام واحوالها ، وما يصدر عنها من حركاتها  
وافعالها ، وما يفعل ذلك فيها من قوى وذوات غير  
محسوسة ، فالعلم يتعرض لاظهرها ظاهرها اولا ،  
ويترقب منه الى الاخفى فالاخفي ... » .

## 2 — عناصر الحركة واقتسامها :

تعرض العلماء وال فلاسفة العرب بتفصيل عظيم  
لحركة الاجسام ، فاسهبوا في الكتابة عن مفهوم  
الحركة وعن انصارها وارتباطها بالزمان ، كما قسموها  
إلى انتقالية و دورانية ، كذا إلى طبيعية و قسرية ،  
ونورد فيما يلي نماذج من كتاباتهم في هذا المجال .

### أولاً : عناصر الحركة :

يحدد الشيخ الرئيس ابن سينا (9) في كتابه

اما الزمان عند جمهور الناس فهو مرور السنين  
والأيام والساعات » .

ويقول اخوان الصفا أيضا في رسالتهم السادسة  
عشرة (3) :

« والحركات ستة انواع ، احدها النقلة وهي  
نوعان دورية ومستقيمة ... واثم الحركات الدورية كما  
بينا في رسالة الحركات » .

ويعود اخوان الصفا مرة ثانية الى تأكيد مفاهيمهم  
للامور الطبيعية فيورد في رسالتهم الرابعة  
والعشرين (4) ما نصه :

« بيان ذلك أن الجسم بالسكون أولى من الحركة  
هو ان الجسم ذو جهات ست ، ولا يمكنه ان يتحرك  
إلى جميع الجهات دفعه واحدة ، وليس حركته إلى  
جهة أولى من جهة ، فإذا السكون أولى به من  
الحركة » .

ويقول اخوان الصفا في الرسالة الثامنة من  
القسم الرياضي في فصل أن الجسم لا يتحرك من ذاته:  
« والجسم من حيث الجسمية ليس بمحرك ،  
والافعال لا تكون الا بالحركة ، فالمحرك للاجسام  
جوهر آخر ... » .

ويعرف الامام محمد أبو حامد الغزالى (5)  
الطبعيات في كتابه « معيار العلم » (6) فيقول :

« ولكل علم موضوع ...

وموضوع العلم الملقب بالطبيعي : جسم العالم  
من جهة ما يتحرك ويسكن » .

ويقول ابو البركات هبة الله بن علي بن ملکا  
البغدادي (7) في كتابه « المعتبر في الحكمة » (8) :

« ... فعلى هذا يسهل طريق التعليم الحكمي  
الذي يكون بالنظر والاستدلال ، وهذا القانون يعنيه  
يستعمل في هذا العلم المسمى بالعلم الطبيعي

(3) هي الرسالة الثانية من الجسمانيات الطبيعيات.

(4) هي الرسالة العاشرة من الجسمانيات الطبيعيات.

(5) عاش في الفترة من سنة 1059 حتى 1111 م ( 451 - 505 هـ ) .

(6) كتاب القياس — النظر الرابع في لواحق القياس — طبعة دار المعارف بالقاهرة صنفحة 251 .

(7) توفي عام 1151 م ( 547 هـ ) .

(8) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الاول — الورقة 3 .

(9) عاش في الفترة من عام 980 حتى عام 1037 م ( 428 - 370 هـ ) .

« وكل حركة في مسافة تنتهي إلى حد ما ، تنتهي إلى سكون فيه ، ف تكون غير الحركة التي بها يستحفظ الزمان البطل .

فالحركة الوضعية هي التي بها يستحفظ الزمان البطل ، وهي الدورية » .

أما هبة الله بن ملكا البغدادي فيقول في كتابه : « المعتبر في الحكمة » (14) :

« ... واعم اعراض الجسم الطبيعي واحسها به من حيث هو جسم هي الحركة : وهذا موضع الكلام فيها ، والحركة تقال على وجوه ، فمنها الحركة المكانية وهي التي بها ينتقل المتحرك من مكان الى مكان ، ومنها الحركة الوضعية ، وهي التي تتبدل بها وضع المتحرك ، وتنقل اجزاء في اجزاء مكانه ، ولا يخرجه عن جملة مكانه ، كالدولاب والرحا ... »

#### ب) تقسيم الحركة الى طبيعية وقسرية :

1 - بالحركة الطبيعية يقصد العرب حركة الجسم الى موضعه الطبيعي بعد ان يخرج عنه قسراً، وذلك عند زوال القادر عنه ، وعلى ذلك فالحركة الطبيعية عندهم هي حركة التقليل الى السنبل ، وحركة الخفيف الى العلو ، اذا ما اخرج الجسم قسراً من مكانه الطبيعي .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في « الرسالة الاولى في الطبيعتين من عيون الحكمة » .

« وكل جسم متحرك محركه اما من سبب من خارج ، وتسمى حركة قسرية ، ولما من سبب في نفس الجسم ، اذ الجسم لا يتحرك بذاته ، وذلك السبب ان كان محركاً على جهة واحدة على سبيل التسخير ، فليس طبيعة ، وإن كان محركاً حرکات شتى بارادة او غير ارادة ، او محركاً حركة واحدة بارادة فليس نفساً » .

« الشفاء » (10) الامور المتعلقة بالحركة بكونها ستة امور ، فيقول :

« المتحرك ، والمحرك ، وما فيه ، وما منه . وما اليه ، والزمان » .

بالمحرك يقصد الشيخ الرئيس الجسم الذي به الحركة ، وبالمحرك القوة المسببة للحركة ، وبقوله ما فيه يقصد المكان والوضع ، وما منه وما اليه مواضع الابتداء والانتهاء ، اي طرفي مسافة الانتقال وتنقسم اتجاه الحركة ، أما الزمان فالقصد منه الفترة الزمنية التي تتم فيها الحركة بقطع مسافة الانتقال ، وارتباط الزمان بالمسافة يحدد سرعة الحركة .

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه « المعتبر في الحكمة » (11) .

« غاتصال الزمان لازم لاتصال الحركة ، ووحدة الحركة هو باتصالها في الزمان والمسافة » .

#### ثانياً : اقسام الحركة :

قسم فلاسفة العرب الحركة الى انتقالية ووضعية ، كذلك الى حركة طبيعية وحركة قسرية (غير طبيعية ) ، وتنقسم هذه المفاهيم بحسب اراء كتاباتهم التي نورد نماذج منها فيما يلي :

#### أ) تقسيم الحركة الى انتقالية ووضعية :

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في « الرسالة الاولى في الطبيعتين من عيون الحكمة » (12) :

« الحركة التي من اين الى اين تسمى نقلة الحركة التي من وضع الى وضع تسمى وضعية » (13) .

(10) طبيعتيات الشفاء — المقالة الثانية — الفصل الأول .

(11) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الثالث والعشرون ، الورقة 87 .

(12) كتاب « تسع رسائل في الحكمة والطبيعتين » للشيخ الرئيس ابن سينا ، طبعة القاهرة سنة 1326هـ (1908 م ) ، مطبعة هندية بالموسكي بمصر .

(13) النط السادس — الفصل السادس — الفصل السادس عشر .

(14) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل التاسع — الورقة 26 .

والقسر فمِنْ شَيْءٍ خارج عن المتحرك بحركة على مقتضى طباع المحرك أو روبيته ، لا على مقتضى طباع المتحرك وروبيته .

والسماء لا يجوز ان تكون حركتها قسرية ، لأن القسر اذا دام تبطل الطبيعية ، ويفسد المطبوع ويحلله الى مقتضاه ، وهو فعل الأضداد بالاضداته ، والسماء لا ضد لها ، ولا تضاد فيها ، ولا شد لها ، وحركتها دائمة ، كذلك فليس بقسرية ومن القاسر ، نن كل تمسير لجسم عن طبع آخر ، فاما ان القسر الدائم يبطل الطباع ، ويفسدها غمعلوم من جهة ما لدينا من المتضادات وافساد بعضها بعضها ، فما السماوات مقتضورة على حركتها الدائمة ، ولا حركتها بالطبيعية المسخرة ... » .

### 3 — الفاظ «المبدأ» و «الميل» و «الاعتماد»

استعمل العرب في كتاباتهم عن الحركة تعبير خاصة تشتمل على الفاظ «المبدأ» و «الميل» و «الاعتماد» ، كذا «مبدأ ميل» ، وتقصد فيما يلي المعانى التي تؤديها هذه الالفاظ من واقع النصوص التي ورد استعمالها فيها .

أولاً : «المبدأ» :

بكلمة «مبدأ» قصد العرب عموماً السبب والعلة . هذا الى جانب استعمالها بمعنى موضع بداية الحركة .

يعرف الامام محمد ابو حامد الفرازى لفظ «المبدأ» فیقول (18) :

« والمبدأ اسم لها يكون قد استلم وجوده في نفسه ، اما عن ذاته ، واما عن غيره ، ثم يحصل منه وجود شيء آخر ي تقوم به ، ويسمى هذا علة بالإضافة الى ما هو مبدأ له » .

ويقول هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه «المعتبر في الحكمة» (15) :

« ... فان الحركة اما طبيعية واما قسرية ، والقسرية يتقدمها الطبيعية ، لأن المقصور انما هو مقصور عن طبعه الى طبع قاسره ، فإذا لم يكن حركه بالطبع لم يكن حركه بالقسر ، والطبيعية انما تكون عن مبادر الطبع الى مناسب بالطبع ، او الى مناسب مناسب من مناسب » ...

ويقول الامام خير الدين الرازى في كتابه: «المباحث الشرقية في علم الالهيات والطبيعيات» (16) :

« ... وان كانت الحركة حاصلة فيه ، فاما ان يكون سببه تلك الحركة خارجاً عن ذات المحرك ، والقسم الاول هو الحركة الطبيعية ، والقسم الثاني هو الحركة القسرية ، وما القسم الاول وهو الذي يكون مبدأ الحركة قوّة موجودة في ذلك الجسم ، فقد عرفت في باب القوى أن كل فعل ينبع من الجسم لا بالعرض ولا بالقسر ، فلابد وأن يكون لقوّة موجودة فيه » .

2 — بالحركة غير الطبيعية يقصد الحركة التي تنشأ عن تعريض الجسم لمحرك من الخارج ، وقد سمى الفلسفه العرب هذا القسم بالحركة القسرية ، وفيها يمكن للمحرك أن يلازم الجسم المتحرك اثناء تحركه ، أو أن يفارقه بعد أن يبدأ الحركة فيه .

يقول هبة الله بن ملكا البغدادي في الجزء الثاني من كتابه «المعتبر في الحكمة» (17) :

« مُنْقُولُ الْمُحَرِّكِ بِالذَّاتِ لِكُلِّ مُتَحَرِّكٍ يَكُونُ أَمَا طَبِيعَيْةً ، وَأَمَا تَسْرِيًّا ، وَأَمَا إِرَادَةً ، وَيَخْصُّونَ بِاسْمِ الطَّبِيعَةِ مَا يَحْرُكُ بِالتسْخِيرِ وَعَلَى سُنْنَ وَاحِدٍ ، وَيَعْنِي بِالسُّخْيَرِ أَنَّهُ تَحْرُكٌ بِغَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا رُوْيَا مِنْهُ ، كَالْحَجَرُ فِي هَبُوطِهِ ، وَالإِرَادَةُ فَمَعْلُومَةٌ ، وَهِيَ مَعْرِفَةٌ الْفَاعِلُ بِمَا يَفْعُلُهُ وَعَزِيزَتِهِ عَلَيْهِ .

(15) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الرابع عشر — الورقة 47 ، 48

(16) الكتاب الثاني — الفن الخامس — الفصل الخامس والاربعون ( طبعة حيدرآباد الدكن بالهند ، الصفحة 621 ) .

(17) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 — الفصل السابع — الورقة 135 .

(18) كتاب «معيار العلم» : كتاب أقسام الوجود وأحكامه ، الفن الثاني ، طبعة دار المعارف بالقاهرة ، الصفحة 330 .

هذا المفهوم المعنى الأول لما تعارفنا على تسميتها بالقانون الأول للحركة .

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه « المعتبر في الحكمة » (22) :

« فبهذا يعلم ان لكل جسم طبيعيا حيزا طبيعيا . فيه يكون بالطبع ، واليه يتحرك اذا ازيل عنه ، وهذا الحيز ليس هو للجسم بجسميته التي لا يخالف بها غيره من الأجسام . بل بصفة خاصة به هي طبيعة نقوءة او صورة خاصة بذلك الجسم ، خصته بذلك الحيز وحركته اليه ، فتكل الطبيعة الخاصة في ذلك الجسم مبدأ حركة بالطبع وسكون بالطبع ، والحرريك النطلي المكانى انما يكون عنها بعد سبب طارئ ، يخرج الجسم عن حيزه الطبيعي ، فتحركه هي اليه ».

### ثانيا : « الميل »

استعمل العرب لفظ « الميل » على أربعة وجوه ، أولها المعنى الحرفي بمعنى الرغبة والاتجاه ، وثانيها معنى القوة سواء كانت قوة طبيعية ناشئة عن قوة تثاقل الجسم ، فيطلق عليها تعبير « الميل الطبيعي » ، او قوة قسرية مسلطة على الجسم من خارج فتصمى « ميلا قسرريا » ، أما المعنى الثالث الذي ترد فيه الكلمة « الميل » فهو معنى مدانعة الجسم عن حاله التي هو عليها ، سواء كان ساكتا او متحركا حرکة منتظمة وعلى استقامة ، وهو المعنى الذي نشير اليه في كتاباتنا المعاصرة « بالقصور الذاتي » او « العطالة » (23) ، وهو ذات المعنى الوارد فيما نعرفه اليوم بالقانون الأول للحركة المنسوب عرفا الى اسحق نيوتن (24) . وهناك أيضا معنى رابع ترد فيه الكلمة « الميل » هو كمية الحركة (25) . ونسوق فيما يلي نماذج من النصوص الفلسفية العربية للتدليل على مصد العربي لهذه المعانى .

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في معرض حديثه عن القوة الطبيعية في كتابه « النجاة » (19) :

« ... فمنها قوى سارية في الأجسام تحفظ عليها كمالاتها من أشكالها ومواضعها الطبيعية وانماعليها ، واذا زالت عن مواضعها الطبيعية وأشكالها وأحوالها ، اعادتها اليها وثبتتها عليها ، مانعة من الحالة الغير الملائمة ايها ، بلا معرفة وروية وقصد اختياري بل بل بتخثير ، وهذه القوى تسمى طبيعية ، وهي مبدا بالذات لحركاتها بالذات ، وسبوناتها بالذات . ولسائر كمالاتها التي لها بذاتها ، وليس شيء من الأجسام الطبيعية بخلاف عن هذه القوة ... »

ويقول ابن سينا عن القوة الطبيعية ايضا في طبيعيات كتابه « الشفاء » (20) :

« كل جسم له مكان طبيعي او حيز تقتضي طبيعته الكون فيه ، وهو يختلفسائر الأجسام لا لجسميته ، بل لأن فيه مبدأ وقوة معدة نحو ذلك المكان » .

ويقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (21) :

« انك لنتعلم ان الجسم اذا خلى وطباعه ، ولم يعرض له من خارج تأثير غريب ، لم يكن له بد من موضع معين وشكل معين ، فاذن في طباعه مبدأ استجابة ذلك ».

بهذه الكلمات يقصد ابن سينا ان الجسم يبقى - بطبيعته - ساكتا في موضع معين ، متخذا شكلـا معينا ، ومحافظا على هذه الحال بسبب طبعه ، ما لم يطرأ عليه مؤثر خارجي يخرجه عن هذا الموضع او الشكل او عن كليهما ، اي ان من طبع الجسم المادافعه عن بقائه على حالة سكونه الطبيعي ويمثل

(19) طبعة القاهرة عام 1331 هـ - الجزء الثاني - الصفحتان 161 ، 162 .

(20) المقالة الرابعة - الفصل الثاني عشر .

(21) النمط الثاني - الفصل السادس .

(22) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 - المجلد الثاني - الفصل السادس والعشرون ، الورقة 102 .

(23)

(24) عاش في الفترة من عام 1642 حتى عام 1727 م ، واليه تسبـب قوانـين الحركة الثلاثـ التي نشرـها في كتابه « الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية ». وهي كمية موجـة قابلـة للتحليل والتركيب .

(25) هي حاصل ضرب الكتلة × السرعة

## 1 - الميل بمعنىه الحرفي :

عند الوصول إلى الحيز الطبيعي والحركة المستقيمة.  
وبعود الميل والحركة المستديرة ... »

### 2 - الميل بمعنى القوة

#### 1 - الميل الطبيعي :

عبر العرب بالميل الطبيعي عن القوة التي تدفع بالجسم إلى الوصول إلى مكانه الطبيعي — عندما يكون خارجا عنه — وهي قوة الجاذبية الأرضية أو قوة التثاقل . أي ان الميل هنا بمعنى القوة التي تؤدي إلى الحركة الطبيعية للجسم حتى يستعد موضعه الطبيعي .

إذا ثال الميل الطبيعي قد عبر به عن القوة الطبيعية ، قوة التثاقل او قوة الجاذبية الأرضية ) التي تؤثر على الجسم لتعيده إلى موضعه الطبيعي ، ثال الميل الطبيعي هنا بمعنى السعي إلى الوضع الطبيعي ، ووسيلة الجاذبية الأرضية .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتبيهات » (29) :

« الجسم اذا وجد على حال غير واجبة من طباعه ، فحصوله عليها من الامور الامكانية ، ولعل جاعلة ، ويقبل التبدل فيها من طباعه الامانع ، اذا كانت هذه الحال في الموضع والوضع امكن الانتقال عندها بحسب اعتبار الطبع ، مكان فيه ميل » .

من الواضح ان المقصود بالميل في هذا النص القوة الطبيعية الداعية الساعية إلى استعادة الموضع والوضع الطبيعيين للجسم ، وهي القوة التي نعرفها اليوم بقوة الجاذبية الأرضية .

ويمضي الشيخ الرئيس فيقول في طبيعتات كتابه « الشفاء » (30) :

وردت في كتابات علماء العرب وفلاسفتهم لفظة « الميل » في مواضع ارادوا بها فيها معناها الحرفي ، فقاوموا بأن الجسم ان كان في حيزه الطبيعي ، فإنه يميل ويرغب في البقاء فيه ، ولا يميل أو يتوجه إلى العزوف عنه ، وفيما يلي بعض الأمثلة لكتابات التي جاء فيها هذا المعنى .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتبيهات » (26) :

« وإنما يكون الميل الطبيعي — لا محالة نحو جهة يتوخاها الطبع ، فإذا كان الجسم الطبيعي في حيزه الطبيعي لم يكن له — وهو فيه — ميل ، لأنه — لا محالة — إنما يميل بطبيعة إليه لا عنه » .

ويشرح الإمام فخر الدين الرازي هذه الاشارة فيقول (27) :

« وأما قوله وإذا كان الجسم في حيزه الطبيعي؛ لم يكن له — وهو فيه — ميل ، لأنه إنما يميل بطبيعة إليه لا عنه ، فاعلم أن هذه الدلالة تدل على أن الجسم حال كونه في حيزه الطبيعي ، لا يكون له ميل عنه ، فإذا قلنا ولا يكون له أيضا ميل إليه ، لاستحالة طلب الحامل ، فحيثئذ تتم الدلالة على أنه لا ميل فيه في تلك الحالة » .

ويقول أبو البركات هبة الله بن ملكا في كتابه « المعتبر في الحكمة » (28) في معرض مقارنته بين الحركتين المستقيمة والمستديرة :

« ... إنكم إذا تلقيتم القوة والطبيعة تحدث الميل، وتحرك من الأين الغريب على الاستقامة ، لأنها أقرب إلى الأين الطبيعي ، كذلك هذه ، وكما يبطل الميل في تلك عند الوصول إلى الحيز الطبيعي ، وتبطل الحركة وبعود الجسم إلى سكونه ، كذلك في هذه يبطل الميل

(26) النمط الثاني — الفصل السابع .

(27) الكتاب الموسوم بشرح الاشارات لنمير الدين الرازي : النمط الثاني — الفصل السابع .

(28) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل السادس والعشرون ، الورقة 104 .

(29) النمط الثاني — الفصل الحادي عشر .  
(30) المقالة الرابعة — الفصل الرابع عشر .

« كل ماله مكان فلا بد وان يكون له مكان طبيعي ومكان غريب : ويكون له — لا محالة — ميل الى المكان الملازم ، وميل عن المكان الغريب ، والميل هو الثقل والخفة » .

ويؤكد الفخر الرازي ازدياد القوة الطبيعية مع عظم الجسم ، فيقول (36) :

« الاجسام كلما كانت اعظم ، كان ميلاها الى احيائها الطبيعية اقوى ؛ وكلما كان كذلك ، كان قبولها للبديل القسري اضعف ، لما بينا ان الميل الطبيعي عائق عن القسري .

والشيء كلما كان العائق عنه اقوى ، كان وجوده اضعف » .

### ب - الميل القسري :

استعمل العرب لفظ الميل القسري بمعنى القوة الخارجة عن الجسم التي تدفع به للتحرك ، اي بمعنى القوة المؤدية الى الحركة القسرية .

يقول ابو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي في كتابه « المعتبر في الحكمة » في معرض تأييده للرأي القائل بوجود سكون بين الحركتين المتضادتين (37) :

« ... ونصر الرأي القائل بالسكون بين الحركتين المتضادتين بحجته هذه ، وقال ان كل حركة بالحقيقة هي تصدر عن ميل يحتجه اندفاع الشيء القائم أمام المتردك او احتياجه الى قوة تمانعه بها ، وهذا الميل في نفسه معنى من الامور به توصل الى حسدود الحركات ، وذلك بابعاد من شيء يلزم مدافعة لما في وجه الحركة ، وتقريب من شيء ، ومحال ان يكون الواصل الى حد ما واصلا بلا علة موجودة موجدة ، ومحال ان تكون هذه العلة غير التي زالت عن المستقر الاول ، وهذه الفلة يكون لها قياس الى ما يزيد ويدافع ، وبذلك القياس يسمى ميلا ، فان هذا

« ان الاجسام الموجودة ذات الميل كالثقبة والخفيفة ، اما الثقبة فمما يميل الى اسفل ، وأما الخفيفة فمما يميل الى فوق ، فانها كلما ازدادت ميلا كان قبولها للتحريك القسري ابطأ ، فان نقل الحجر العظيم الشديد الثقل او جره ليس كنقل الحجر الصغير القليل الثقل او جره » .

فالميل هنا بمعنى قوة الجاذبية ، ونحن نعلم ان الجسم كلما زاد وزنه كلما زادت قوة احتكاكه بالسطح الذي عليه يرتكز ، اذ ان قوة الاحتكاك تناسب تناصبا طرديا مباشرا مع وزن الجسم ، وبالتالي فكلما زاد وزن الجسم كلما ازدادت مقاومته للتحريك . بمعنى ان القوة اللازمة للتغلب على قوة الاحتكاك تزيد بزيادة وزن الجسم ، هذا هو المعنى الذي ورد في كلام ابن سينا ، وقد ضرب له مثلا تحريك الحجر شديد الثقل وتقليله .

ويقول ابن سينا ايضا في معرض حديثه عن الميلين الطبيعي والقسري في كتابه « الاشارات والتنبيهات » (31) .

« وكلما كان الميل الطبيعي اقوى ، كان امنع لجسمه عن قبول الميل القسري ، وكانت الحركة بالميل القسري افتر وابطأ » .

ويشير الامام فخر الدين الرازي (32) في كتابه « المباحث المشرقة في علم الالهيات والطبيعتين » (33) الى الميل المسبب للحركة الطبيعية فيقول :

« ... فان الثقل قوة محركة الى اسفل ، وهي اما الطبيعية وهي صورة جوهرية ، او الميل الذي هو السبب القريب (34) للحركة ، وهو من متولة الكيف » .

ويمضي الامام الرازي في موضع آخر من كتابه يقول (35) :

(31) النمط الثاني - الفصل السابع .

(32) عاش في الفترة من عام 1150 م حتى عام 1210 م / 954 هـ - 606 هـ .

(33) الكتاب الثاني - الفن الاول - الفصل السادس ( طبعة حيدر آباد الدكن بالهند ، صفحه 187 ) .

(34) يقصد السبب المباشر .

(35) الصفحة 219 من طبعة الهند .

(36) شرح الامام الرازي لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » : النمط الثاني - الفصل العشرون .

(37) مخطوط مكتبة احمد الثالث رقم 3222 المجلد الثاني - الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 89 ، 90 .

الشيء من حيث هو سهل لا يسمى ميلاً وإن كان الموضوع واحداً.

لو جعله للميل أيضاً ، فقال أنه مغلوب الميل لزوال الاشكال الابدي » .

ويضي ابن ملکا في موضع ثان من نفس المصدر يقول :

« فكل ذلك الحجر المقذوف ، فيه ميل مقاوم للميل القاذف ، الا لأنَّه متهور بقوَّة القاذف ، ولأنَّ القوَّة التاسرة عرضية فيه ، فهي تضعف لمقاومة هذه القوَّة والميل الطبيعي ولمقاومة المخروق ، ولذلك كلما كان المخروق أكثَر وأعسر خرقاً ، كان بطحان ذلك الميل التسري أسرع ...»

فيكون الميل القادر في أوله على غالية القهر للميل الطبيعي ، ولا يزال يضعف ويبيطِّيء الحركة ضعفاً بعد ضعف ، وبطأ بعد بطء ، حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي ، فينقلب الميل الطبيعي ، ولا يزال يضعف ويبيطِّيء الحركة ضعفاً بعد ضعف ، وبطأ بعد بطء ، حتى يعجز عن مقاومة الميل الطبيعي ، فيرجع إلى جهةه ، ويقوى عليه مستمراً حتى يبطله ، فيسرع بذلك حركته بطحان المقاوم ». .

ويشرح تصير الدين الطوسي (39) اجتماع الميلين الطبيعي والتسري ( اي التوتين الطبيعية والتسري ) ، فيقول في معرض شرحه لكتاب ابن سينا « الاشارات والتبيهات » (40) :

« اذا طرا على جسم ذي ميل بالفعل ، ميل تسري ، تقاوم السبيان ، اعني القادر والطبيعية ، فانَّ غالب القادر وصارت الطبيعة مقهورة ، حدث ميل تسري ، وبطل الطبيعي ، ثم تأخذ الموضع الخارجبة والطبيعية معاً في اثنائه تليلاً تليلاً ، وتقوى الطبيعة بحسب ذلك ، وبأخذ الميل التسري في الانتفاض ، وقوَّة الطبيعة في الازدياد ، الى ان تقاوم الطبيعة الباقى من الميل التسري ، فيبقى الجسم عديم الميل ، ثم تجدد الطبيعة ميلها مشوباً باثار الضغط الباقية فيها ، ويشتد الميل بزوال الضغط ، فيكون الأمر بين قوَّة الطبيعة والميل التسري ، قريباً من الامتزاج الحادث بين الكيفيات المتفاضة ...»

وهذا الشيء الذي يسمى ميلاً قد يكون موجوداً في آن واحد ، وإنما الحركة هي التي عسى أن تحتاج في وجودها إلى اتصال زمان ، والميل ما لم يقرر ولم يقمع أو لم يفسد ، فإنَّ الحركة التي يجب عنه تكون موجودة ، وإذا فسد الميل لم يكن فساده هو نفس وجود ميل آخر ، بل ذلك معنى آخر ربما يقاربه .

فإذا حدثت حركةتان فعن ميلين ، وإذا وجد ميل آخر إلى جهة أخرى ، غليس يكون هو هذا المولى نفسه ، فيكون هو بعينه علة للتحصيل والمقارنة معاً ، بل يحدث لا محالة ميل آخر له اول حدوث ، وهو في ذلك الأول موجود ، اذ ليس وجوده متعلقاً بزمان : ليس كالحركة والسكنون اللذين ليس لهما اول حدوث ، اذ لا يوجدان على وجه ما الا في زمان والا بعد زمان ... » .

### ج - اجتماع الميلين الطبيعي والتسري :

يتناول هبة الله بن مالكا البغدادي دراسة حركة الحجر المرمي إلى فوق ، فيعرض لما جاء فيها من أحوال شارحاً ومنذلاً للحجج المختلفة ، إلى أن يصل إلىحقيقة أنَّ الجسم المتسار على التحرك إلى أعلى سياوَّجه قوَّة مقاومة لحركته ، سماها ميلاً مقاوماً ، وما هذه القوَّة المقاومة سوى قوَّة الجاذبية الأرضية أو « الميل الطبيعي » .

يقول ابن ملکا في هذا المعنى في كتابه « المعتبر في الحكمة » (38) :

« ... لو لم يكن فيه ميل مقاوم لما اختلف حال الحجرين المرميَّين من يد واحدة بقوَّة واحدة في السرعة وبالبطء اذا اختلفا في الصغر والعظم ، حتى كان اعظمهما ابطأ صعوداً واقرب مسافة ، واصغرهما اسرع وابعد مسافة اذا لم يفرط صغره ، وماذاك الا لأنَّ الميل المقاوم في الكبير اكثُر وان كان مغلوبَا ، واثباته المعاوقية للقوَّة الطبيعية التي عنها يحدث الميل

(38) مخطوط مكتبة أحمد الثالث باسطنبول رقم 3222 ، المجلد الثاني ، الفصل الرابع والعشرون ، الورقةان 94 ، 95 .

(39) عاش في الفترة من عام 1201 م حتى عام 1274 م ( 597 هـ - 672 هـ ) .

(40) النموذج الثاني - الفصل السابع .

ويمضي الطوسي في موضع آخر من شرحه يقول :

« ... لولا اجتماع الميلين ، لكان الحجران المتساويان اللذان يرميهما قوي وضعيف متساوين في الصعود ... »

تبين هذه النصوص بوضوح تام أن كلمة الميل قد وردت فيها بمعنى القوة ، فالمقصود أدنى بالميل الطبيعي فيها القوة الذاتية المعروفة بقوة التثاقل ؛ وبالليل القسري فيها القوة المسلطة على الجسم من خارجه ؛ وللتبيّن أن ثُرثَرَتْ في اتجاه معاكس لاتجاه قوة التثاقل لقاومتها هذه القوة الأخيرة فضلاً عن معاوقيات الوسط الذي يتحرك الجسم خلاه .

### 3 — الميل بمعنى المدافعة :

#### أ — المدافعة عن حالة السكون :

هنا استعمل العرب لفظ « الميل » كذا « ميدا ميل » للتعبير عن رغبة الجسم وتمسكه والحاكم على البقاء على حالته الطبيعية ، أي مدافعة الجسم عن استقراره على حالته من السكون في موضعه الطبيعي ، ويقتضي ذلك تواجد مقاومة ذاتية للجسم ضد أي تغيير خارجي عليه من حيث الموضع والشكل ليتمكن ساكناً في مكانه الطبيعي . وهذا هو بعينه المعنى الأول الذي يقوم عليه القانون الأول للحركة .

يقول ابن سينا في طبائعات كتابه « الشفاء » (41) :

« وكل جسم ينتقل بالقسر ففيه ميدا ميل ما ، أما الانتقال المكاني فقد بيناه ، وأما الانتقال القسري الوضعي فلأن ذلك الجسم إن كان قابلاً للنقل عن مكانه فقد ظهر ، وإن كان غير قابل له ، فله — لا محالة — قوة بها يثبت في مكانه ويلزمه ، ويختص به ، وهو غير جسيبته » .

ويقول في موضع ثان من نفس المقالة :

« ان كل جسم فيه ميدا ميل ما ، فان نقله عما هو عليه من أين وضع يقع لا في زمان ، وذلك محال ،

(41) المقالة الرابعة .

(42) النمط الثاني — الفصل السابع .

(43) نفس المرجع السابق — الفصل الثامن .

(44) نفس المرجع السابق — الفصل التاسع .

بل يجب أن يكون كل جسم يقبل تحريكه وأماملة طارئة ، ففيه ميدا ميل طبيعي في نفس ما يقبله كان أينما أو وضعها » .

#### ب) المدافعة عن حالة الحركة :

استخدم العرب لفظ الميل بمعنى ميدا الميل ورغبتهم والحاكم في أن تستمر حركته ، والميل هنا بمعنى الخاصية الذاتية الداعمة عن الاستمرار في الحركة المنتظمة ، وهذا هو لمعنى الثاني الذي يشتمل عليه القانون الأول للحركة .

يقول الشيخ الرئيس ابن سينا في كتابه « الاشارات والتبيّنات » (42) :

« الجسم له في حال تحركه ميدا ميل يتحرك به ، ويحس به المانع ، ولن يمكن من المنع إلا فيما يضعف ذلك فيه ، وقد يكون من طباعه ، وقد يحدث فيه من تأثير غيره ، ففيطر المبعوث من طباعه إلى أن يزول فيعود اتبعاه » .

ويمضي ابن سينا في موضع آخر من كتابه (43) يقول :

« الجسم الذي لا ميدا ميل فيه ، لا بالقوة ولا بالفعل لا يقبل ميلاً قسرياً يتحرك به ، وبالجملة لا يتحرك تتسراً ، والإذ لا يتحرك تتسراً في زمان ما ، مسافة ما ، ولتحريك مثلاً في تلك المسافة جسم آخر فيه ميدا ميل وممانعة ، وبين أنه يتحركها في زمان أطول .

ولتكن ميدا ميل ضعف من ذلك الميل يقتضي في مثل ذلك الزمان ، عن ذلك التحرك ، مسافة نسبتها إلى المسافة الأولى نسبة زمان ذي الميدا الأول ، وعديم الميدا ، فيكون في مثل زمان عدمي الميدا يتحرك بالقسر مثل مسافته ، ف تكون حركتا متساوين ذي ممانع فيه ، وغير ذي ممانع فيه ، متساويني الأحوال في السرعة والبطء ، وهو محال » .

ويفكر ابن سينا فيقول في موضع ثالث (44) :

#### 4 - الميل والاعتماد بمعنى كمية الحركة :

ورد استعمال لفظي « الميل » و « الاعتماد » في كتابات العالم العربي الحسن بن الهيثم في كتابه « المناظر » بمعنى كمية الحركة ، وقد سماها ابن الهيثم « قوة الحركة » ، كما سبّجها الحديث عنه ، أما الفيلسوف العربي أبو البركات هبة الله بن ملكاً البغدادي فقد استعمل كلمة « الميل » و « قوة الميل » في معنى كمية الحركة ، من ذلك قوله في كتابه « المعترض في الحكمة » (49).

« غاليل الطبيعى مبدأ له غير مفارق ، ولا يزال يوجبه حتى يبلغ به الحيز الطبيعي ، وكلما حركت القوة فى المسافة الغريبة عن الطبيع ، أحدثت ميلاً بعد ميل ، فتزايد بذلك قوة الميل مما استمرت الحركة »

يبين من هذا النص أن الفيلسوف العربى ابن ملكاً قد وقف على حقيقة ان الأجسام التي تتحرك حركة طبيعية ، كتلك التي تسقط سقوطاً حرراً تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية ( اي تحت تأثير الميل الطبيعي ) ، تزيد سرعتها وبالتالي كمية حركتها كلما امتننت فى السقوط ، وقد عبر ابن ملكاً عن كمية الحركة فى هذا النص بالميل بعد الميل وبقعة الميل .

ويضى ابن ملكاً فى موضع آخر من نفس المصدر يقول :

« ... فان قيل ان اشتداد الميل الطبيعي فى آخره ليس لانسلاخ القادر بل لأمر يخصه فى نفسه ، ويستدل على ذلك بالحجر المرمي من عال من غير ان يكون عالياً عن صعود بحركة قسرية ، ولا نبيه ميل قسرى ، فانك ترى ان مبدأ الغاية كلما كان ابعد كان آخر حركة اسرع ، وقوة ميله اشد ، وبذلك يشجع ويسحق ، ولا يكون ذلك له اذا التي عن مسافة اقصى ، بل يبين التفاوت فى ذلك بقدر طول المسافة التي يسلكها .... »

« يجب ان تتذكر هنا انه ليس زمان لا ينقسم ، حتى يجوز ان تقع فيه حركة ما لا ميل لها ، ولا تكون له نسبة الى زمان حركة ذي ميل » .

ويعرف الشيخ الرئيس الاعتماد والميسل في « الرسالة الرابعة في الحدود » (45) فيقول :

« الاعتماد والميل هو كثافة يكون بها الجسم مدفعاً لما يمنعه عن الحركة الى جهة ما » .

هذا وقد افرد الامام الغزالى فيما مستقلًا من كتابه « معيار العلم » لبيان الالايات المستعملة في الطبيعية (46) ، نورد منها تعريفه للاعتماد والميل فيما يلي ، ويکاد يكون نفس النص الذي ساقه ابن سينا في رسالته الرابعة .

« الاعتماد والميل هو كثافة يكون بها الجسم مدفعاً لما يمنعه عن الحركة الى جهة »

ويزيد الشيخ الرئيس ابن سينا الامر وضوحاً ، فيشرح طبيعة مادة الجسم عن استمراره على حاله ، فيقول في معرض حديثه عن الآراء المطروحة في سبب حركة الجسم المقذوف ( المتحرك ) بعد ان يفارقه القاذف ( اي المحرك ) بعد استمراره لجمالية الآراء (47) :

« ولكن اذا حققنا القول ، وجدنا اصح المذاهب مذهب من يرى أن المتحرك يستفيد بيلامن المحرك ، والميل هو ما يحس بالحس اذا ما ح Howell ان يسكن الطبيعي بالقسر ، او القسري بالقسر » .

من الواضح هنا استعمال الكلمة الميل في معنى المادفة ، واختصاص الجسم بكثافة او صفة ذاتية بها يدفع الجسم عن استمراره في الحركة ، وهي الصفة التي تطلق عليها اليوم تسمية « القصور الذاتي » او « العطالة » (48) ، وهذه احدى المعاني الواردة في القانون الأول للحركة .

(45) « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » مطبعة هندية بالموسكى بمصر عام 1908 م ( 1326 هـ ) .

(46) كتاب « معيار العلم » كتاب الحدود — الفن الثاني — القسم الثالث — طبعة دار المعارف بالقاهرة المصححات 296 حتى 304 .

(47) طبيعيات كتاب « الشفاء » : المقالة الرابعة — الفصل الرابعة عشر .

(48)

(49) مخطوط مكتبة احمد الثالث باستانبول رقم 3222 — المجلد الثاني — الفصل الرابع والعشرون ، الورقتان 95 ، 96 .

وهو ما نعرفه اليوم بكمية الحركة ، وقد عبر عنها ابن الهيثم بـ « قوة الحركة » وبـ « اعتماد المتحرك » ، فكتاب الفصل الثالث من المقالة الرابعة في كتابه « المناظر » (52) يقول :

« والمتحرك اذا لقي في حركته مانعا يمانعه ، وكانت القوة المحركة له باقية فيه عند لقاء المانع ، فإنه يرجع من ( حيث ) كان في الجهة التي منها تحرك ، وتكون قوة حركته في الرجوع بحسب قوة الحركة التي كان تحرك بها في الأول ، وبحسب قوة الممانعة » .

ومضى في الورقة التالية يقول :

« ... لأن الحركة المكتبة إنما تكون بحسب مقدار المسافة ( و ) بحسب مقدار الثقل » .

يتضح من هذين النصين وقوف الحسن بن الهيثم على معنى كمية الحركة معبرا عنه بقوة الحركة ، وسبقه إليه ، وبالتالي فإنه من المحتمل أن يكون علماء العرب وفلسفتهم من أمثال أبي البركات هبة الله بن ملكا البغدادي والخواجة نصير الدين الطوسي قد وقفوا على هذا المعنى الكمي الذي ورد محدداً في كتابات الحسن بن الهيثم في أوائل القرن الحادي عشر للميلاد ، والذي حقق به سبقاً واضحاً على علماء الغرب بعده مئات من السنين .

## خلاصة

يخلص البحث إلى أن العرب قد وقفوا على معانٍ وأصول فكرية عديدة في مجال علم الحركة ، استعملوا في التعبير عنها الناظراً خاصة تناولناها في هذه الدراسة بما هي أهل له من الشرح والتفصیل ، وأوردنا نماذج من الكتابات العربية قصدنا بها التدليل على المعانٍ المتباعدة التي عبرت عنها هذه الإنما ، ويعتبر هذا البحث دراسة أساسية لا غنى عنها للباحثين عن فضل العرب في علم الميكانيكا ، وهو فضل قد ثبت لتألهه جد عظيم .

يؤكد أبو البركات هنا زيادة « قوة الميل » ( أي كمية الحركة ) بازدياد المسافة المقطوعة ، وبازدياد قوة ميل الحجر المرمي يشتد تأثيره حيث يشترج ويتحقق على حد قوله ، ومن الواضح أن مفهوم أبي البركات سليم تماماً ، إذ أن سرعة حركة الجسم الساقط حرراً تزيد بحسب المسافة التي يتحركها ، وبالتالي فإن كمية حركته - وقد عبر عنها الفيلسوف العربي هنا بقوة الميل - تشتد ويشتد معها تأثيرها كما جاء بجلاء في معنى كمية الحركة .

يقول نصير الدين الطوسي في معرض شرحه للفصل الأول من النمط الأول في طبيعيات كتاب « الاشارات والتنبيهات » لابن سينا :

« والاعتماد عندهم هو ما يسميه الحكيم ميلاً »  
اذن فاستعمال كلمة الاعتماد كان مرادفاً لاستعمال كلمة الميل .

وفي استعمال كلمة الميل بمعنى كمية الحركة يقول الطوسي (50) :

« اقول : الميل الطبيعي يزداد بازدياد الجسم إلى مكانه الطبيعي قرباً » .

إي ان الجسم الساقط الساقط حرراً تزداد كمية حركته كلما اقترب من سطح الأرض أو من جسم ثابت عليها ، وهذا قول صحيح تماماً لأن كمية الحركة - وهي حاصل ضرب الكثافة في السرعة - تزيد بازدياد السرعة ، وهذه الأخيرة تزيد بدورها كلما أمعن الجسم في حركته الطبيعية تحت تأثير قوة الجاذبية الأرضية .

## 4 - تعبيراً « قوة الحركة » و « اعتماد المتحرك »

نطون الحسن بن الهيثم (51) إلى معنى كمي في الجسم المتحرك يتوقف على سرعته ( معبراً عنها بمسافة السقوط ) ، وعلى ثقله ( ويتاسب مع كتلته )

(50) شرح نصير الدين الطوسي لكتاب ابن سينا « الاشارات والتنبيهات » : النمط الثاني ، الفصل التاسع عشر .

(51) عاش في الفترة من عام 966/65 م حتى عام 1039 م ( 354 هـ - 430 هـ ) .

(52) مخطوط مكتبة الفتتح باستانبول رقم 3215 ، الورقة 70 .

## \* مصادر البحث \*

- (1) « رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا »  
عني بتصحيحه خير الدين الزركلي  
المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة — عام 1928
- (2) « معيار العلم » للإمام محمد أبي حامد الغزالى  
تحقيق الدكتور سليمان دنيا  
دار المعارف بمصر — الطبعة الثانية — عام 1969 ، 400 صفحة .
- (3) « المعتبر في الحكمة » لهبة الله بن ملكا البغدادي  
مخطوط مكتبة أحمد الثالث ( طوب قابي سراي باسطنبول ) رقم 3222 — 225 ورقة .
- (4) « الشفاء — الطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا  
تحقيق الدكتور محمود قاسم . مراجعة وتقديم الدكتور ابراهيم مذكر ، دار  
الكتاب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة عام 1389 هـ = 1969 م
- (5) « تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات » للشيخ الرئيس ابن سينا  
مطبعة هندية بالمو斯基 بمصر عام 1326 هـ = 1908 م ، 180 صفحة .
- (6) « الاشارات والتبيهات » للشيخ الرئيس ابن سينا مع شرح نصير الدين  
الطوسي  
تحقيق الدكتور سليمان دنيا .  
دار المعارف بمصر — القسم الثاني — الطبعة الثانية ، 468 صفحة .
- (7) « المباحث المشرقية في علم الألهيات والطبيعيات »  
للإمام فخر الدين الرازي  
الجزء الأول عام 1343 هـ = 1924 م ، 706 صفحة .  
الجزء الثاني عام 1343 هـ = 1924 م ، 548 صفحة .  
دائرة المعارف العثمانية — حيدر آباد الدكن بالهند .
- (8) « النجاة » للشيخ الرئيس ابن سينا .  
طبع بطبعة السعادة بمصر على نفقه محي الدين صبري الكردي ، عام 1331 هـ  
ثم عام 1357 هـ = 1938 م .
- (9) « الكتاب الموسوم بشرح الاشارات » .  
للحواچه نصیر الدین الطوسي ، وللإمام فخر الدين الرازي .  
المطبعة الخيرية بالقاهرة — الطبعة الأولى — عام 1325 هـ .  
الجزء الأول 243 صفحة ، الجزء الثاني 146 صفحة .
- (10) « المناظر » للحسن بن الهيثم .  
المقالتان الرابعة والخامسة — مخطوط مكتبة الفتح باسطنبول رقم 3215 ، 322 ورقة .

---

\* مرتبة حسب ورودها في متن البحث .

# الباحث النفسي في دراسة الفنون

للدكتور أحمد محمد الحوفي  
أداة لأدبي العربي ورئيس قسم الدراسات  
لأدبي بكلية الولاه - جامعة القاهرة -

وقد لخص العقاد المذاهب النقدية في ثلاثة :  
مدرسة التحليل النفسي ، ومدرسة الدراسة  
الاجتماعية ، ومدرسة الأذواق الفنية .

وقال ان مدرسة التحليل النفسي هي اقرب  
المدارس الى الرأي الذي ندين به في تقد المدب وتقدي  
التراجم وتقدي الدعوات الفكرية جمما ، لأن العلم بنفس  
الأديب أو البطل التاريخي يستلزم العلم بمقومات هذه  
النفس من أحوال عصره ، واطوار الثقافة والفن فيه ،  
وليس من عرفنا بنفس الأديب في حاجة الى تعريفنا  
بعصره وراء هذا الفرض المطلوب ، ولا هو في حاجة  
إلى تعريفنا بالبواعث الفنية التي تمثل به من أسلوب  
إلى أسلوب .

وللنقد مدرسة أخرى محترمة كثيرة الانصار في  
العصر الحديث على الخصوص ، بعد استفاضة البحوث  
حول الدعوات الاجتماعية ، وعلاقة الأديب بمطالب  
عصره . وموقع الملاحظة على هذه المدرسة أن الذي  
يعرفنا بأحوال المجتمع فحسب لا يستطيع أن يعرفنا  
بأسباب الفوارق الكثيرة التي تشاهد بين عشرات  
الأديباء من أبناء العصر الواحد ، ولا غنى له عن الرجوع  
إلى « النفيات » مع التعويل على « الاجتماعيات » في  
مسائل المدب والتاريخ .

اتجه العقاد في أعماله الأدبية كلها الى استكناه  
النفوس ، وتحليل نوازعها ، ورد ما يصدر عنها الى  
بواعث قد تخفيها أستار من الأحداث والملابسات  
وأحكام الناس ، فنراه في العقارات يدرس الشخصية  
ومعالجها ، ويتلمس مفتاحها . ونراه في شعره وفي  
تقديه محللاً ومعللاً ومنقباً عن الدخائل : كأنما يفحص  
بالمجهر عن شيء في سائل .

يقول في دراسته لجميل بشينة : « وقد عنانا في  
هذا الكتاب أن نوفق بين البواعث النفسية والمواد  
الطبيعية في سيرة جميل بشينة ، وأن نفهم الأدب على  
مصابح من علم النفس ، ومن حقائق الطبيعة ، فلا  
نرجع به الى لفظ تلوكه الأفواه ، بل نرجع به الى  
وشائع تمعز بالآيدان والأذهان (1) » .

ويقول صديقه الاستاذ محمد طاهر الجلاوي :  
« وقفت في أيديينا في تلك الأيام قصة الأكاذيب للكاتب  
الفرنسي بول بورجييه ، وهو من رواد القصة النفسية ،  
فترأها العقاد ، وقرأها أكثر من مرة ، وكنا نعجب  
لأحداثها التي تنطبق على ما نحن فيه ، ونتحدث عنها  
فيما يبتنينا » .

والعقاد اعجاب كبير بهذا الكاتب ، فمذهب  
القائم على التحليل النفسي هو مذهب العقاد الذي  
يتحرر في القصة وفي الشعر (2) .

(1) جميل بشينة 8.

(2) في صحبة العقاد للجلاء 167

وهذا رأي فائل ، لأن انعشق حبالة لبقاء النوع ،  
قد يذهب العاشقان ضحية لها ، وقد يطغى فيه المصالح  
والسلوقة والغضب على الرقة ولرضا واللين والانقياد.

- 2 -

اما العقاد فيرى (4) ان اجود الغزل ما عبر عن  
عاطفة المتنزل تعبيراً صادقاً ، سواء اوصف المحبوبة  
بالحسن العائق أم بالحسن المعتاد ، وسواء اكان رقبها  
ام غير رفيق . فمحبون ليلى يقول :

كائن فوادي في مخالب طائير  
اذا ذكرت ليلي يشد به قبضا  
كائن فجاج الأرض حلقة خاتم  
علي فما تزداد طولا ولا عرضا

ويعلق العقاد على البيتين بقوله : ان قلب السامع  
لينقبض ، وان صدره ليخرج لهذا الوصف ، ومع هذا  
فاني شعر اربع من هذا الشعر ؟ و اي شاعر اطبع  
وانيشيق من المجنون ؟ .

فوالله ما فى القرب لي منك راحة  
ولا بعد يسليني ولا أنا صابر  
ووالله ما أدرى بآية حيلة  
واي مرام او حظدار اخاطر

وليس العشق الصادق حين يشب أواره بالعاطفة  
التي يود صاحبها دوامها ، ويستريح الى مناجاتها ،  
ونتها هو غمة يود المبتهلي بها لو تنتفضي لساعتها ،  
ويقوم في نفسه عراك لا تهدأ ثائرته ، ولا يهنا بالغلبة  
فيه ، لأنه هو الفالب وهو المغلوب ، وكانما ينزع نفسه  
من نفسه ، فيضيق ذرعا ، كما قال المجنون  
وهذا شسه يقول كاتسو لى

الشاعر الروماني : ايتها الالهة ان كان لك رحمة  
بالقلوب الصدقة المشفقة بحق براءتي عليك الا ما  
نظرت الى عذابي ، وريثت لما بي ، ومسحت عنى هذا  
الوباء الماحق والبلاء اللاحق ، وهذه اللوعة التي  
تسرت ورعتها في عروقي فشفت الهناء عن قلبي .

اما المدرسة الفنية فهي مدرسة البلاغة والذوق، ومدرسة المعانى الرائعة والتغيير الجميل، وهى تل箕نا لا محالة الى ذوق الأذىب وذوق الناقد على السواء؛ ومتى وصلنا الى الذوق فقد وصلنا الى التفسيرات، ووصلنا قبليها الى الاجتماعيات على لاحمال (3).

وليس من غرض المفاضلة بين هذه المدارس ، او مناقشة العقاد فيما ذهب اليه ، بل ساكتفي بعرض اربعة نماذج من دراسات العقاد النافية في ميدان الأدب . حده ، واعقب على كل منها بما أراه :

النحوذج الأول  
أحد الفرز

- 1 -

للقدماء رأيان مختلفان في أحسن الفزل وأجوذه ،  
فمنهم من يؤثر الفزل الذي يضفي على المحبوب هالة  
من الجمال ، فلا يتحقق بها عيوب ولا نقص ، حتى  
ليحوز محبوبه مثلاً أعلى في الملاحة والحسن والاغراء .  
وهو لاء يخلطون بين العشق والاستحسان ، وهم  
في حقيقتهما مختلفان ، لأن الاستحسان قد يكون من  
عاشق وقد يكون من غير عاشرق ، ولأن العشق ليس  
معناه أن المرأة المعشوقه اجمل في نظر عاشقها من  
كل امرأة ، فلا غرابة في ان يحبها وهو عارف بعيوبها ،  
وعالم بمحاسن غيرها ، ولكنه لا يحبها .

ثم ان الحب قائم على الاضطرار لأعلى الاختيار ،  
فاما رأى المحب سينات من محبوبه ، وبقى على حبه ،  
كان هذا ادل على قوة الحبيب من استمراره مع  
الاستحسان والاختيار .

ويعنى هذا أن المدرسة التي تجعل الاطماء والاستحسان مقاييس الجودة في الفرز تجهل بواعث الفرز الجيد وتبعده عن حقيقته.

ومنهم من يتخذ رقة الغزل والمبالفة فيها مقاييساً  
لوجودة الغزل ، فالمحب الذي يبكي أغزل من لا يبكي ،  
والذي يبكي كثيراً أغزل من يبكي قليلاً ، والذى يتذلل  
ويتضرع أغزل من الذى يثور ويتبرم ، والذى يبسط  
খدھ موطنًا لقدم محبوبته أغزل من يترفع .

(3) محله قافلة الـ بـ ست مـارس 1964.

(4) شاعر الفيل العقاد.

ثم يوزن العقاد بين قول جنادة العذري :

من جها ألمنى أن يلاقيتنى  
من نحو بلدتها ناع فىتعاهـا  
كيمـا أقول فراق لا لقاء لهـا  
وتضمر النفس يأسا ثم تسلاهـا  
ولو تموت لرأعني وقلـت إلا  
يا بوس للموت ليـت الموت إيقـاها

وقول المحسنون :

نیا رب اذ صیرت لیلی هي المنو  
فرنی بعینیها کما رتها لیا  
والا فبغضها الی واهلمه  
فانی بلیلی قد لقیت الدواهیا

ويبين قول كاتيولس : اني لاكره واحب ، تسألني  
كيف ذلك ؟ من يدرى ؟ ولكنني احس بحقيقة هذا الامر  
وشدة برحائمه .

ويخلص من الموازنة الى أن نعمت الحب بآنه داعية  
ليس فيه شيء من الرقة والدمانة ، ولكنها وصف اتفق  
عليه شاعر ان ليس بينهما جامحة من ذوق لففة ، او  
وحدة زمن ، لأنهما اجتمعا على عاطفة انسانية صادقة ،  
شاركتهما فيها كل الشعراه الذين جربوا العشق .

وذلك لا يشرط في الفزل نجيد استحسان  
شمائل المحبوب والمعالفة في اطرافها ، ولا التذلل  
والشكوى والضراعة .

وإذا فالغزل الجيد هو التعبير الصادق عن الحب وعن نفسية المحب ، وهو بهذه المثابة كالبحر الذي تنبه فيه القول ، ويتسع للناقض ، ويجمع بضروب من المفاجآت ليس لها انتهاء .

ولهذا كان من الخطأ أن يحصره النقاد في قالب واحد وهيئة واحدة أو لون لا يتبدل .

- 3 -

ويبهدا خالف العقاد اصحاب الاستحسان .  
واصحاب الرقة في نقدتهم قول جميل :  
رمي الله في عيني بشينة بالقىدى  
وفي الفر من انيابها بالقوادح

لأنهم عابوه اذ سأله تشويه عيني حبيبه  
ونفرها ، وهما أجمل ما يتنمى له الجمال في وجهه  
محبوبته ، فتجافى عن الرقة كلها ين دعا عليها ذلك  
الدعاء الفليظ يلعمو به العدو على الد أعدائه .

وذهب العقاد الى أن هذا البيت ادل على عشق  
جميل من عشر قصائد غزلية تفيض بالرقة والثناء  
والاستحسان ، لانه دليل على حب برج به ، وحار فى  
الخلاص منه ، وغلب على مشيئته فيه ، وظن ان البلاء  
كله من جمال تلك الثنایا وتيك العينين ، فلم تبق له  
من حيلة الا ان يسائل اثلاف هذا الجمال ، عسى ان  
يطيق بعد ذهابه سلوه والراحة من بلواه .

فالبيت دليل على اعمق الحب وأصدق الغزل ،  
ولك أن تقول انه غزل صادق من رجل سيء ، أو أنه  
غزل صادق من رجل طيب في سورة الياس والجيرة ،  
اما أن يكون مبطلا في عشقه وغزله لأنه تمنى تلك  
الأمنية ، فذلك غفلة عن العاطفة التي أمنته ، ولغو لا  
صدق فيه .

ولك أن تقول إنها أمنية رجل تقلب عليه الانانية .  
ويتلمس الرأحة بما استطاع من وسيلة ، ولو كان فيها  
بلاء لم يهؤ ، الا انك لا تنسى أنه تمنى تلك الأممية ،  
لأنه أحب وساق ذرعا بحبه ، وببلغ أقصى ما يبلغه  
العاشق من التعلق بالمشوق والمحز عن الفكاك من  
اوهاق ، فهني إن شئت انانية ذئمة لا ترضي عنها  
الأخلاق الكريمة ، ولكنه حب قوي ، وتعبير صادق عنه.

← 4 →

ثم تعمق العقاد فيما لم يتعمق فيه سواه ، اذ اورد قول كثير عزة .

الا ليتنا يا عز من غير رب  
بعيران نرعى في الخلاء ونعزب  
كلانا به عمر فمن يرثنا يقتل  
على حسنها جرباء تعدى واجربر  
اذا ما وردنا منهلا صاح اهله  
علينا فما نتفك نرمي ونضرب

ولم يعلق النقاد على الآيات بأكثر من قولهما إنها  
أمنية سخيفة ، اذ تمنى كثير لنفسه ولمحبوبته الرق  
والجرب والرمي والطرد وال المسيح ، فلم يبق مكروه لم  
يتمكنه لها ولنفسه ، فصار جديرا بقول القائل : معداة  
العاقل خير من مودة الاحمق .

يجمع الصدق والروعة معاً ، فيفلح مرة ويُخْفَق مرة ،  
ويجيء في شعره الجيد ويجيء فيه غير الجيد .

لهذا كان هكلي محقاً في قوله :  
« يجب أن نذكر أن قيماً وليلي وأنطوني وكيلو باترة  
موجودون بيننا بكثرة لا تخطر على بالنا ، وذلك أنه  
يصعب على عابر الطريق أن يقرأ على وجوه الناس مدى  
عمق عواطفهم ، وكل سائله في هذا أن يحدس  
ويستنتج من تصرفهم وكلامهم ، لأن الفاظهم في الأكثر  
والأعم لا تستوعي الانتباه ، إذ أن التعبير الرائع هبة لم  
يمنحها الخالق إلا نة نادرة من الناس ، فليس ضعف  
التعبير دليلاً على ضعف الشعور ، بل من المؤكد أن  
عدد المعتبرين في جمال فني أقل بكثير جداً من عدد  
المحبين » .

ولو أن الصدق الشعوري والصدق التعبيري  
هما وحدهما المقياس الذي تقيس به الجودة لكان  
قصائد الشاعر المحب على درجة واحدة ، فلا تستطيع  
ترجيع قصيدة على قصيدة ، ولكن الواقع غير ذلك ،  
لأننا حينما نقرأ شعر عروة بن حزام أو قيس أو جميل  
أو العباس بن الأحنف مثلاً نفضل قصيدة على أخرى ،  
ذلك أننا لم تكتف بصدق الشعور وصدق التعبير ، بل  
اضفتنا إليها مقياساً آخر يتصل بالافتتان في تخيير  
اللفظ ، وانتقاء العبارة ، وبراعة التصوير ، وحلاؤه  
الجرس . ومعنى هذا أننا أضفتنا إلى المذهب النفسي  
المذهب الفني .

### النموذج الثاني

#### أبو نواس والترجسية

فصل المقاد الباحث في الترجسية من حيث  
دلائلها وتشابها وبواعتها ومظاهرها ، معتمداً على آراء  
الثقات من علماء النفس المحدثين .

ثم حاول تطبيقها على أبي نواس (7) ، فألبسه  
توبا فضفاضاً لا ينسجم على قده ، وحكم عليه أحکاماً  
تخرج به عن سنته وحده .

— 1 —

فالترجسية شذوذٌ دقيقٌ يؤدي إلى ضروبٍ شتى  
من الشذوذ في غرائب الجنس وبواتع الأخلاق ، لأنها

وعقب العقاد على هذا بأنهم صادقون ، لأنه ما من  
آمنية أدعى إلى الضحك والسخرية من هذه الآمنية .

ثم تعلقل إلى نفسية كثير ، ليكشف عن بواعث  
هذه الآمنية الحمقاء ، فردها إلى قياماته ودمامة منظره ،  
وحماقته ، وضعف حيلته ، وإلى غيرته على عزة التي كان  
يخشى أن يغلبه عليها كل المزاحمين ، لأنهم أجمل منه  
منظراً . وقد أقدر على الإغراء والاستهواء ، فلما يجد غير  
في الوسيلة التي يأمن بها على صاحبته فلم يجد غير  
ابتلاها بالبلاء الذي يزهد الناس فيها ، فتصير له  
وحده ، لأنها لا يستطيع أن يتحرر من حبها ، ولأنه عاجز  
عن حياتها ، وهو لا يملك من الوسائل ما يملكه غيره من  
المنافسين .

على أنه ليس يستبعد أن كثيراً رأى البعيرين  
الموصوفين رؤية العيان ، لأن هذا منظر يندر أن  
يشاهده ابن البادية مرات ، فخيل إليه أنها سعيدان  
حيث يسرحان ولا يطلبهما راع ولا مالك ، فتمنى  
السعادة على هذا المتوال .

وإذا كان سخيفاً في آمنيته – ولا شك في ذلك –  
 فهو محظوظ صادق في التعبير عن حبه ، فلا علاقة بين  
سخف آمنيته وأتهام عاطفته ، لأنه أحب فن نفسه الحب ،  
وحرمه الراحة من طريق غير هذا الطريق .

— 5 —

ومن هذا يتبيّن أن العقاد أرجع جودة الفزل إلى  
ينبوع الفزل نفسه وهو الحب ، وإلى صدق التعبير عن  
الحب ، فإذا كان الشاعر محباً وعبر عن حبه في صدق  
فزله جيد ، وإذا كان غير محظوظ أو كان محظوظاً لم يستطع  
التعبير عن حبه فزله ردئ .

لكن هذا المقياس – على أنه قيم – ليس دقيقاً  
الدقة كلها ، لأنه يعزز شيء آخر هو جودة التعبير عن  
العاطفة الصادقة ، وبراعة تصوير العاشق لما يجيش  
بنفسه .

وذلك أن التعبير قد يتصف بالصدق ولكنه لا  
يتتصف بالبراعة ، إذ أن المحظوظ قد تجيش نفسه  
بعواطف صادقة ، ويحاول تصويرها بفن القولي فلا  
يستطيع ، فيتمهل حتى تهدأ نفسه ، ثم يسترجع ما  
مضى ليعبر عنه تعبيراً ليس صادقاً فحسب ، بل

(7) أبو نواس الحسن بن هانيء .

وبدأ في اختياره غلاما لا يحسن النطق بالراء  
تكسيرا لها :

بكسر الراء وتكسيرا

يدعو مسمى إلى الحتف  
وبدأ في اعجابه بالجدة التي كانت من خواص  
صوته ، فقال في وصف غلام :

وبه غنة الصبا تعليها

جدة الاحتمام للتشرييف

وكذلك ذكر مثال الحسن في الذكور والإناث ،  
في قوله :

ولو أنها في الحسن كانت كيوسف  
وبليقين أو كانت كخط مثال  
وقالت تزوجني على مهر درهم  
لقلت أعزني عن فمهك غال

ثم ذكر العقاد أن الجارية جنان كانت أحب  
معشوقاته إليه ، وإنها كانت تحب النساء وتميل  
إليهن ، وظن أن كلف أبي نواس بها ربما كان من ظواهر  
زرجسيته ، لأن لازمة التشخيص تتحقق بها على نحو  
لا تتحقق بغيرها .

ورجع أن هيام بالجارية (حسن) راجع إلى تشابه  
اسمها وأسمه ، حتى أنه تشفع بهذه المتشابهة في قوله:

ان لي حرمة فلو رعيت لـ  
لا جوار ولا أقول قرابة  
غير أنني سمي وجهك لـ  
آخره في اللفظ والهجاء والكتابة

2 - وطبق عليه ظاهرة العرض ، ليبين أنه لم  
ينظم شعرا في الخمرات أو الغزل أو المجنون إلا تبين  
منه أن الجهر بالمحرمات أدنى إلى هواه من الاستمتاع  
بهما .

وذلك أن بعض الناس قد يولع بالإباحية ويجاهر  
باللذات ، ويطيب له الخروج على العرف وعلى المأمور ،  
لهما هنهم على أنفسهم وعلى الناس ، فلا يبالون ، لأنهم  
نسوا شخصيتهم ، وبعضهم قد يقترب هذا لتعاليمهم  
على العرف وعلى الناس ، ولرغبتهم في تقرير  
شخصيتهم .

ولم يكن أبو نواس من الفريق الأول ، لأن أخباره  
وأشعاره تنفي ذلك عنه .

هيام الشخص بجسمه أو بنفسه إلى حد الاستفرار  
والعبادة والتدليل والمشتق .

ولهما شباب عده ، تخbir العقاد منها ما يتصل  
بدراسة أبي نواس وموضوعات عشقه وغزله ، وأهمها  
شعبتان : أحدهما الاشتئاء الذاتي  
والآخر التوثيق الذاتي  
ومن أبرز ما يلازمهما ظاهرة التلبيس أو التشخيص ،  
وظاهرة العرض ، وظاهرة الارتداد .

اما ظاهرة التلبيس أو التشخيص وهي عشق  
الإنسان ذاته عشقا شهوانيا ، فالشاذ في حب جنه  
أو حب الجنس الآخر يجد طبلته ، ويقضي مأربه ، أما  
الذى يشتهي بدنه وليس فى وسعه أن يفضى مأربه  
منه بغير التحايل على ذلك بالتلبس أو التشخيص ،  
ولهذا يلبس شخصيته شخصا آخر يتوهم أنه هو ذاته  
او يحله محل ذاته .

واما ظاهرة العرض فتشمل الأظهارات بجميع  
درجاته ، فقد يشاهد المصاب بها وهو يكشف عورته ،  
ويعرض أعضاءه ، ويتعري من ثيابه ، وإن كان الأكرم  
الأعم أن هذا لا يكون إلا في حالة الجنون وما يقاربه .

واما الارتداد فإنه يعتري الترجيبيين من تلبيس  
ذواتهم بغيرهم ، او خلع ذواتهم على شخص آخر  
يتلمسون المتشابهة بينهم وبينه ، فيتحول الترجيبي  
صفة القوة من قوى يشبهه في القوام والملامح ، وبخلافه  
في القوة ، او يخلع ذاته على امرأة مشتهاة يجد شبهها  
بینها وبينه .

## - 2 -

وقد حاول العقاد أن يطبق هذه الظواهر على أبي  
نواس ، وأن يفسر بها جميع أحواله .

1 - فشل ذوذ الجنسي نرجسية مظهرها التلبيس  
والتشخيص .

وقد بدأ هذا التشخيص في غزله حين اختار  
لهواه غلاماً أثغر مثله ، وإن كانت لغة أبي نواس بالراء  
ولغة الغلام بالسين :

وابا بي الشفه لا جحته  
قال في غنج وانحناث

لما رأى من خلاقتي لـ  
كم لقى الناث من النساء

تم ان حبه للجارية جنان لا ينبعىء عن تلبيس وتشخيص ، بدعوى أنها كانت تحب النساء وتميل البهمن ، فان حبها لم يكن مقصورا على النساء دون الرجال ، وهي في الوقت نفسه جارية مغنية لا يتطلب منها ان تنافس الحرائر ، او تكشف النساء بالعداء .

على انه احب الجارية دنانيز وتفزل بها ، وتغزل  
بعشر من الجواري الحسان ، منهن عنان التي غلبته في  
مساجلة بالأدب المكشوف على مسمع ومراى من وجوه  
نفاد .

فلم يكن حب أبي نواس مقصوراً على الجارية  
جتان ، ولم يكن حبه لها عميقاً طويلاً الأجل ، فانه  
احبها في مطلع شبابه ، ولم يليث حبه ان خمنت  
جبندوته ، وكان معاصره يشكون في صدق هذا الحب  
وحرارته .

كذلك يبدو التكفل في الاستدلال على التشخيص  
بيان أبا نواس هام بالجارية ( حسن ) لأن اسميهما  
مت شباهان ، فان هذا الهيام واقع لا محالة ، سواء أكان  
اسمها ذلك أم غير ذلك ، والا فلماذا هام بدنانير وعنان  
وجنان وترجس ، وليس بين اسمه وأسمائهن تشبه  
او اتفاق ؟

ومن التضييق على أبي نواس أن نحجر عليه  
التلاعب بالاسمين المتشابهين عن طريق المصادفة لا  
عن طريق التعمد والاختيار ، كما تلاعب المتنبي فيما  
يعد باسم سيف الدولة ، فشقق منه الوانا من المعانى  
والأفكار والخيال .

2 - وعجيب أن يتخذ العقاد من مجاهرة أبي  
نواس بخلاعته دليلاً على نرجسيته ، وعلى ظاهرة  
العمررض :

من هؤلاء في الأدب العربي الأعشى وسجيم  
وامرؤ القيس وعمر بن أبي ربيعة ونصيب وابن سكره  
وكثير من شعراء البنيمة .

ومنهم في الأدب العربي بيرون وكازانوفا ، ولم يوصف واحد من هؤلاء أو أولئك بالترجسية أو بظاهرة من ظواهرها المعروفة .

وانما كان من الفريق الثاني المبالغ في تهتكه  
ومجاهرته بما يقترب من آثام .

لَهُذَا يَقُول :

اًلا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر

ولا تسقني سرا اذا امكن الجهر

ویقـول :

أطيب اللذات ما كسان -  
جه سارا بافتخار

وله في هذا المجال شعر كثير.

3 - ثم حاول العقاد أن يطبق عليه ظاهرة الارتداد ، من وصف لنشاطه ، وكيف بالخليفة الامين ، ولعله بالجارية حسن .

- 3 -

وليس من شك في أن العقاد كان يارعا في هذه المحاولة ، إذ استطاع أن يلخص معالم الترجمة ، ثم حاول أن يطبقها على حياة أبي نواس وشعره . ولكن هذا لا ينفي أن فى التطبيق الواينا من مظاهر التمحن والاعتراض .

وليس من الصواب أن يكون اعجاب أبي نواس بالبحة في صوت غلام آخر مظهراً للتشخيص ، فان مصدر هذا الاعجاب الاستسلام والاستطراف والارتياح إلى هذا الصوت ، وهو اعجاب صالح لأن يصدر عن أبي نواس وعن غيره من الرجال .

واما تمثيله للجمال الفائق بيوسف فانه تمثيل للتفوق والامتياز ، ولا دليل فيه على تشخيص وتلبيس ، اذ انه اراد ان يصور اصراره على رفض الزواج من المرأة التي وصفها ، مهما تبلغ من الاغراء ، فقال انها لو بلغت من الجمال أعلى درجاته ، ومهما يهبط مهرها الى أدنى درجاته ، فانه لن يرضها زوجة له . واذا كان قد ضرب المثال بيوسف وبيلقيس ، فان الشمراء والقصاص قد نصبوهما مثلاً أعلى للجمال .